PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

همجايني

حلاوة الفراق في العراق

عبد الحليم اللادقي

دار النهضة للطباعة والنشر

Ladiqi

المهجاني

حلاوة الفراق في العراق

عبد الحليم اللادقي

•

١٩٤٤

مطابع صادر ، ريحاني - بيروت

(Arab)
DS70 (RECAP)
.6
.L324
1944

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
32101 021660832

دار النهضة

طباعة ونشر

المدير العام : مأمون اياس التوجيه الفكري : الدكتور كريم عزقول

الادارة المالية : ناجي مصباح اللادقي

الادارة الداخلية : نديم المقدسي

المجاني

اول ثمرات دار النهضة

سلسلة كتب تصدر في منتصف كل شهر

السنة الاولى

١٩٤٤

الكتاب	١	حول الموقد	مأمون اياس
»	٢	معابد الريف	أسد الاشقر
»	٣	مصرع السمنة	عبد الله قبرصي
»	٤	حلاوة الفراق في العراق	عبد الحليم اللادقي

SE-B47321-1

المقدمة

القطر العراقي العربي الشقيق قد شغفنا حباً منذ عهد بنا الى المدارس نتعرف فيها الى الوجود ، ونستطلع اخبار الغابرين والحاضرين . ومن ثم نشأت فينا رغبة الشخوص الى العراق ، لنجوس خلال الديار التي انجبت خير من وطدوا استقلال العرب وعزة العرب . وعرفت العالم سطوة العرب حين يجد الجد وتأزف الساعة . وكنا نسمع عن قيود السفر ما يُقعدنا عن اشباع رغبتنا ولكن من يمثلون العراق في لبنان ، وهم من خيرة الناس نبلا ومحتداً ، قد بددّوا كل قيد ، وسهلوا كل عسير ، فاتخذنا سبيلنا الى العراق محط الآمال ترعانا عنايـة الوزير السيد تحسين بك قدري ، وغيرة معاونه القنصل المقدام السيد عبد الجليل الراوي . وقضينا في الحل والترحال خمسة عشر يوماً تقضّت على احسن حال واوفى مرام .

وقدّرت ان العودة من هذه الرحلة بلا زاد ، عقوق لبلادي لست منه في شيء ، فاستعنت الله واخرجت هذه الرسالة التي لا اطمع منها الا برضى الضمير والوجدان .

على اني ما كنت لاستطيع ان افوز بالمرغوب ، لولا ما اولانيه الرفاق الكرام : بطرس الجميّل ، حسين السجعان ، محمد الكعكي ، مصطفى

فتح الله ، وعبد القادر عيتاني من عناية يسرت لي مهمتي ، ورحابة صدر اتسعت لعصبيتي ، ولولا ما اغدقه علي محافظ المدينة الهمام الامير رفيق ارسلان من عطف وتأييد ، حين كنت اختلس الساعات ، لاستعجال الاخراج ، جزى الله الجميع عني خير الجزاء . وبعد فقد رجعت في اكثر ما كتبت الى ما شاهدته بالعين واستقصيته من المنابع واستعنت الخبراء عليه ، وفي بعض ما كتبت استأنست بالدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ وبالآثار والمباني العربية الاسلامية في الموصل للاستاذ احمد الصوفي وبالنشرات الشهرية لامانة العاصمة في بغداد .

على ان ما بذلت من جهد في التحقيق والتدقيق ، لا يعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لما استهدفته منذ فكرت في وضع الكتاب ، من تعريف اللبنانيين والسوريين بالعراق واهله ، وتوطيد اواصر القربى بين هذه الاقطار التي تجمعها رابطة لا انفصام لها ، ويؤلف بينها تاريخ واحد ومستقبل واحد ومصيبة واحدة . فعسى ان اكون قد وفقت الى ما رميت ، وعسى ان احظى بالرضى الذي اطمع فيه عند القراء ، والله الموفق وهو الهادي الصراط المستقيم .

عبد الحليم اللادقي

ما كان ما سنقصه حديثاً يفترى أو عرضاً يرتجل ، وانما هو حديث لحقيقة رائعة وعرض لمشاهد خلابة بدت لاعيننا وضيئة تهز المشاعر وتستهوي الافئدة .

وما كان حديث العراق بالحديث المبتكر ، ولكنه حديث طالما أزلى تردده الاجيال منذ بابل وفارس وآشور والحثيين والعرب والعثمانيين .

واستهوتنا ذكريات العراق البهيجة والبغيضة ، فأجمع أمرنا بيننا ونحن عصبة ، على ان ندلف اليه لنمتع أعيننا ونسرح طرفنا بمغانيه الفاتنة ، وآثاره الخالدة ، ولنقرأ في تلك الآثار آيات المجد الغابر ، وسطور النور الساطع ، الذي بهر الكون حقبة من الزمن قبل ان تغشى منه الغاشية ، وتسطو عليه يدُ القدر القاسية .

ووفد على بيروت سنة ١٩٤٣ صديق عراقي كريم ، استثار همتنا التي كانت تشتعل وتخبو حسب ما كان يرد علينا من انباء الرافدين فرجحت فكرة زيارة العراق على الرغبة في زيارة مصر التي لم تكن زيارتها لتخلو ايضاً من تفكيرنا الجدي ، وما كان رجحان فكرة على رغبة الا نتيجة حتمية لما تعاقب على لبنان من احداث ، وما قام بينه القطران الشقيقان من جهود وثقت أواصر القربى ، واجتذبت الى مصر اكبر عدد ممكن من المقرين بالفضل المعترفين بالجميل . فكان لزاماً علينا وقد تهافت الكثيرون الى اداء الواجب في مصر ان نولي وجهنا شطر بغداد .

وفي الساعات المبكرة من يوم الجمعة في الحادي والثلاثين من شهر آذار سنة ١٩٤٤ جمعتنا سيارة من بيوتنا لتحط بنا في دمشق ونحن في شك من امكان عبورنا طريق ظهر البيدر المسدودة بالثلوج ولكن الله يسر لنا أمرنا

واجتزنا قبل غيرنا هذا الطريق الذي سد في نفس اليوم .

وكان المفروض ان نغادر دمشق في الساعة الواحدة بعد الظهر مع سيارة «زن» ولكن السيول عطلت الطريق في الصحراء فتأخر الرحل ثلاث ساعات .

بين دمشق وبغداد

وركبنا متن «زن» في الساعة الرابعة يحدونا الشوق الى التلذذ بفاتن الصحراء وقت الغروب وحين الفجر وجرى على السنتنا حديث الفرحة باستقلال لبنان وبمظاهر السيادة التي يتمتع بها كل مستقل ، واستعرضنا المباهج التي سننعم بلذائذها يوم يتم انقشاع الغيمة عن سماء البلاد العربية فترفع من بينها الحواجز والاسلاك ، ونرتع في بحبوحة من العيش الرغيد والحياة الهنيئة . وكنا نسرح في فيافي هذه الاحلام حين اطل على السيارة موظف ينادي باسم احدنا . فاخذتنا الرجفة وقلنا من عسى يكون الطارق المجهول في هذا الليل البهيم وسط هذه الصحراء المقفرة . وصاح احدهم عن بعد ان الموقع يدعى ابو الشامات . فانتبهنا من غفلتنا واستعذنا بالله وظننا بالموظف الظنون . ولكن غيبة رفيقنا لم تطل وعلمنا منه انها مداعبة وجزمنا بأنها سمجة وان موقع ابي الشامات تلقى من بيروت ثلاثة ندآت هاتفية تستفهم فيها احدى السلطات الحليفة (!) عن موعد اجتياز عصبتنا المخيفة الحدود السورية !

وانطلقت بنا السيارة ونحن نضحك ، وشر البلية ما يضحك . واستوى القمر في عرشه يرسل من أشعته على الصحراء ما يزيدها مهابة وجمالا ، وغالبنا النعاس لنستزيد من رواء الصحراء وسحرها ولنشبع نفوسنا الظامئة من جلالها وعظمتها . ثم غلبنا النعاس فنمنا ولم نفق الا حين بدأت الشمس

تداعبنا عن يميننا طوراً وعن شمالنا طوراً آخر وترسل علينا من اضوائها المنعشة ما يضيف الى شوقنا اشواقاً للاستمتاع بالقفر اللامتناهي والارض الفضاء التي شهدت فيما مضى اروع حوادث التاريخ واحتوت في ثناياها اعظم مجد لاعظم أمة .

وشممنا ريح العراق حين وصلنا الى الفلوجه والفرات يتهادى من تحت جسرها العظيم ودخلنا سوق الخيل القريب من المحطة حيث أذسنا بمرآى احياد العربية الاصيلة المطهمة يقودها السماسرة ومن حولهم اصحاب الخيول يرعونها بعيونهم البراقة والنساء ذوات الانوف المزينة بانواع الفضة وفي حجورهن اطفالهن يرفلن باخلاخل ويتدثرن بالمطرز من الثياب القاتمة يملأن الساحة بضجيجهن وصهيل الخيول ، وتبدت لنا في هذه الساحة طبيعة الصحراء الجافة واكبرنا فيمن رأينا حولنا قوة الاحتمال والصبر على شظف العيش وخشونته .

في بغداد

وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر تبدت لنا عن يميننا وشمالنا مفاتن بغداد فكان اول ما طالعنا منها قباب الكاظمية ومآذنها المطلاة بالذهب الخالص يكاد يغشى منه البصر لشدة لمعانه في وهج الشمس . وانسابت السيارة بين الحقول والمشاتل ومرت بقصر الزهور العامر [1] القائم في الضاحية فارتاحت نفوسنا بعد سفر طويل مدة تسع عشرة ساعة كاملة .

ووصلنا الى المطار او المحطة لنرى صديقنا العراقي السيد حافظ القاضي الذي استثار همتنا لهذه الزيارة ، يرحب بقدومنا ويحمل عناً عناء نقل الامتعة

---

(١) اكمل بناؤه في نيسان سنة ١٩٣٥ ومجموع اكلافه يناهز الخمسين الف دينار . وفي ساحة القصر دار خاصة للسينما تسع حوالي ستين ضيفاً .

الى سيارة شحن اعدها من محلاته ويحملنا بسيارته الفخمة الاخرى الى فندق سميراميس بعد ان تكفل هو بانجاز المعاملات الخاصة بالاقامة .

وطارت بنا السيارة الى فندق سميراميس المطل على دجلة وهو مع فندق «زيا» من الدرجة الاولى بعد ان فقد فندق «مود» مجده القديم . وفي العراق عدا الفنادق منازل تدعى (استراحتخانه) وهي كثيرة . وفي الفندقين الاولين يحل كبار القاصدين لوقوعهما على دجلة وفي «زيا» نزل الوفد اللبناني . والمآكل في الفنادق الكبرى تحضر على النمط الانكليزي .

ولم نكد نتحرر من وعثاء السفر حتى رحنا نجوب انحاء بغداد ، نتفرس في كل شيء ، ونستفهم من رفيقنا الخبير بها السيد مصطفى فتح الله عن كل ما يعرض لانظارنا من مبان عامة واثرية ومن مداخل ومخارج ، وكنا نمر بشرطي السير الواقف على منصته كالتمثال فلا نلبث ان نتابع السير وامامنا وخلفنا مئات السيارات تخترق شوارع بغداد الكبيرة والصغيرة ، مندفعة كالسيل ، لا يعترضها قطار كهربائي ولا قافلة حمير ، وتظل في هذا السير المنتظم

تحت عناية شرطي السير وقيادته الماهرة الحكيمة . وقد انقضت رحلتنا دون ان نسمع او نشاهد حادثة اصطدام واحدة في العراق برمته .

وبعد ان فرغنا من جولتنا الاولى وعدنا الى حديقة الفزل لنمتع مناظرنا بدجلة العظيم وهو يسير بين الكرخ والرصافة يجر معه النسيم العليل، تفتقت القريحة عن العهد القديم . فلقد كانت ارض العراق منذ فجر التاريخ مطمح انظار الامم لأهمية موقعها الجغرافي والسياسي . وقد كانت مسرحاً لتمثيل ادوار مملوءة بالوقائع والحوادث الجسام لما حوته هذه الارض من الخيرات والنعيم، فمن السومريين الى الاكاديين الى العموريين الى العيلاميين الى البابليين الى الاشوريين الى الماديين الى الفرس فاليونان ثم الى العرب فالاتراك . ولقد تركت كل امة من هذه الامم وراءها حضارة كانت تزدهي بها المدن العراقية .

وعرضت لنا القريحة فيما عرضت مدينة بابل وما احدثه حمورابي فيها قبل الميلاد بنحو الفين ومئة سنة من عمران وترتيب وما جمّلها به من آثار، حتى كانت تعد من اعظم مدن الدنيا حضارة ورقياً، ورفع فيها بختنصر الجنائن المعروفة بالمعلقات والمعدودة من عجائب الدنيا، وكانت هذه الرياض في وسط المدينة كجبل عظيم تكسوه الاشجار والنباتات الجميلة المنظر، واقام قصره العجيب على ضفة الفرات وكانت الاسواق قائمة في وسط المدينة بنظام بديع تحيط بها ابنية المساكن ومن بينها هيكل بعل .

وترآى لنا حمورابي المشترع العظيم، والحازم ذو العزم الشديد، النافذ البصر في جميع شؤون المملكة والموحد للانظمة والقوانين والجاعل من قديمها وحديثها دستوراً امر بنقشه على عمود جميل من الحجر ونصبه في هيكل الآله « مردوخ » . كما ترآى سرجون الثاني وسنحريب الاشوريان ونبوخذ نصر

الكلداني وكورش الفارسي ودارا والاسكندر وكسرى انوشران ومحمد صلى الله عليه وسلم وخالد ابن الوليد وعلي ابن ابي طالب وتمثلت وقعة الجمل في البصرة ومعركة صِفِين غربي الرقة .

وتصورنا استشهاد الحسين بن علي وما تلا ذلك من ثورات واختلافات سالت فيها الدماء بغزارة فصبغت دجلة والفرات بلونها القاني . فمن ثورة شبيب الخارجي الى ثورة عبد الرحمن بن الاشعث الى ثورة ابن المهلب فثورة زيد بن علي مما وسم عهد بني امية بميسم الاضطراب المتواصل والتطاحن الدائم اللذين لا تزال آثارهما تهدد بالشرور رغم انقضاء اجيال واجيال .

ونعمنا فترة بعدئذ بالعهد العباسي الزاهر . فارتسمت في لوحة الفكر صورة ابي جعفر المنصور فحل بني العباس ويعسوبهم الفذ . ورأيناه وهو يشرف على بناء مدينة المنصور (بغداد) سنة ١٤٩ للهجرة ، ثم جهاده للقضاء على عزاله ليستتب له الامر . ورأينا بغداد آنئذ ، في عهد هارون الرشيد تصل الى قمة مجدها ومنتهى فخارها وترتفع في عمارتها حتى تفوق من حيث العمارة كل حاضرة بعدها . واحصينا من سكانها المليونين تزدحم بهم الشوارع الجميلة .

وتجولنا في الشرق ، شرقي بغداد ، بين قصور البرامكة وما انشأوه هناك من الاسواق والجوامع والحمامات وبين قصور الخلافة في غربيها التي كانت تبهر الناظرين اتساعاً وجمالا . وامتدت الابنية امتداداً عظيما حتى صارت بغداد مدنا متلاصقة تبلغ الاربعين على جانبي دجلة وكانت متاجر البلدان القاصية تصلها براً وبحراً تردها من خراسان وما وراءها ومن الهند والصين ومن الشام والجزيرة والطرق آمنة والسبل مطمئنة وكان الرشيد ووزراؤه حريصين على ذلك كل الحرص . واحصينا رصيد ما في خزينة الخليفة بعد

حسم نفقات الاقاليم بنحو اربع مئة مليون درهم او مايقارب التسعة ملايين ديناراً بعملة اليوم . ثم رأينا تلك الثروة تتداولها الايدي ، فتروج التجارة وتزدهر وسائل المدنية فيعم الترف والتأنق وينتشر السرور بين الناس . وقمنا بزيارة المعاهد فوجدناها غاصة بالطلبة من جميع الامصار . وسهرنا في قصور البرامكة وعشنا مع الجواري الحسان وحضرنا مجالس الأمين والمأمون والمعتصم والمنتصر ، وأفقنا كالمسوع حين اضطرب هذا الجو العابق بالسمو والزاخر بالمباهج لنترك الاتراك يقوضون بوآمراتهم هذا الصرح العظيم . وضربنا ايدينا على بطوننا نفرج عنها ما الم بها من جوع وما اعترى صدورنا من خوف .

وتناولنا طعامنا في بهو الفندق بشغف . وتخلل ذلك محاورات طريفة مع الخدم حول انواع المآكل ، وكدنا نتورط في مشكلات لا نهاية لها لولا براعة احد الرفاق ، الادلاء العالمين بخفايا لغة العراق .

وعدنا الى مستقرنا عند شط دجلة لنرى اشعة القمر تتراقص على صفحاته وانوار القصور تتلألأ في جنباته واكبرنا شأن هذا النهر الذي يكون مع خدنه الفرات منبع الثروة ومورد الرزق لهذه الارض المباركة . ويبلغ طول دجلة الفاً وثمان مئة وخمسين كيلو متراً . ينبع من عدة ينابيع تتحدر من الجبال المحيطة بواديه ويتألف من بدايته من واديين ، دجلة الغربي ودجلة الشرقي وتصب فيه عدة توابع . اما نهر الفرات فطوله الفان وثلاث مئة وخمسون كيلو متراً ، يجري في ثلاث ممالك ، تركية وسورية والعراق ، ويتكون في البداية من فرعين ، ينبع الاول من شمال ارضروم والثاني من جوار مدينة بايزيد . ويقترب من دجلة في جوار بغداد .

وفي اليوم الثاني من وصولنا زرنا معامل فتاح باشا وشركاه للجوخ

والاصواف . فادهشنا ما وجدناه من عظمة آليـة واستغربنا عدم انتظام احوال العمال من جهة الاعاشة والنظافة . فالعامل في هذه المعامل يتناول بين الدينار والخمسة دنانير اسبوعياً حسب المهمة الموكولة الى كل منهم . وما يتناوله العـامل يكاد لا يكفيه . ولذلك لاحظنا سوء صحة العمال وكان الاحرى ان تهتم الادارة بتنظيم احوالهم المعاشية ، بعد ان اكتسبت بعرق جباههم صيتاً داوياً وربحاً وافراً .

لقد وجدت اجواخ معامل فتاح فيما مضى اسواقاً رائجة في لبنان وسوريا ورخصها من بين الاسباب التي أدت قبل نشوب الحرب الى وقف تيار الجشع الذي استولى على تجار الاجواخ الاوربية ؛ غير ان اقتصار هذه المعامل على العمل لحساب الجيوش والحكومات قد افقدها شهرتها وان كان اكسبها ثروة طائلة .

الحركة الرياضية

وانتقلنا بعدئذ الى زيارة النادي الرياضي العراقي الملكي الذي تم بناؤه في سنة ١٩٣٩ من طابقين يضمان صالات فسيحة لمختلف انواع الالعاب ، ويقوم بادارته مجلس يتألف اعضاؤه ممن ترشحهم سنوياً وزارات الداخلية والدفاع والمعارف والشؤون الاجتماعية . ويختار المجلس من هؤلاء الاعضاء رئيساً له ويصبح معتمداً للنادي . ويؤلف المجلس لجاناً فرعية للادارة والاعمال المتنوعة . ويتكون اعضاء النادي من اربعة اصناف (١) اعضاء الحياة (٢) الاعضاء الدائمين (٣) الاعضاء الاضافيين (٤) الاعضاء الموقتين . ويحيي هذا النادي كل اسبوع في يوم الاربعاء حفلة عامة متنوعة .

أما نادي الكشاف فقد اسس سنة ١٣٤٩ هجرية وساحة هـذا النادي

فسيحة جداً جعلت المقاعد فيها للمتفرجين على شكل نصف دائرة وقسمت تلك المقاعد الى درجات . وفي هذه الساحه تقام الاستعراضات والمباريات .

حقاً ان عناية الحكومة بالرياضة لمما يوثق الأمل ببلوغ الحركة الرياضية اوجها في وقت قريب . ولقد ادركت الحكومة العراقية كل الادراك ان على سواعد ابنائها يبنى استقلالها المنشود ، وان الدولة انما وجدت لتنصف الشعب ولتمكنه من الرقي والاستمتاع بالحياة على ارغد وجه . وجدت الدولة لذلك ولذلك وحده فاذا لم تحقق ذلك فلا معنى لوجودها ولا حق لها على الشعب لا في طاعته ولا في عمله . هذا ما ادركته الحكومة العراقية كما ادركت ان الشعب هو الغاية لكل نظام سياسي او اجتماعي ، فحصرت جهودها في هذا النطاق ونعم ما فعلت .

ان الحركة الرياضية في العراق لم يشتد ساعدها الا في ايام الحكومة الوطنية ، أما من قبل فلم تكن مبنية على اساس فني منظم اذ كانت تسودها الفوضى في اكثر مناهجها ولم تكن فوائد الرياضة معروفة لدى طلبة المدارس والاهلين بل كانوا لا يعدونها الا ضرباً من التسلية .

ولما انتقلت سلطة المعارف الى ايدي ابناء البلاد لم تحرم الحركة الرياضية نصيبها من التطور . فعين السيد جميل الراوي (وهو اليوم مدير لكلية الشرطة) مفتشاً للرياضة البدنية والكشافة ، وكانت له الايادي البيضاء في قيادة الحركة والاخذ بزمامها وكانت تسير في عهده من حسن الى احسن . وبعثت الاستعراضات الكشفية والرياضية التي كان يقيمها في كل سنة في نفوس الطلاب واوليائهم وفي نفوس الشعب روحاً جديدة ساعدت على انتشار الرياضة بين الشباب بسرعة فائقة ، كما ساعد على انتشارها قابلية الشباب الطبيعية وميلهم الغريزي الى التربية الجسمية والقوة البدنية المأثورة

عن آبائهم واجدادهم .

وقد ساهم جلالة الملك فيصل الاول رحمات الله عليه في تشجيع هذه الحركة وخصص جانباً من وقته لاجلها بالاشتراك مع مختلف الوزارات التي تناوبت الحكم، كما ادخل نجله الامير غازي في مضمار الكشفية . وقد هو نفسه رحمه الله منصب حامي الكشافة الاعظم في حفل عظيم .

وفي سنة ١٩٣٠ حينما فكرت وزارة المعارف في توسيع نطاق الرياضة والحصول على نخبة رياضية صالحة تكون انموذجاً لهذه الحركة ارسلت الى السويد السيد علي اكرم فهمي فدرس هناك سنتين في اكبر مؤسسة رياضية وتضلع بصورة خاصة في انواع الرياضة المدرسية، كما انه مارس التدريس في نفس هذه المؤسسة مدة لفحص قابليته . هذا عدا البعثات الاخرى التي ارسلت الى مختلف اقطار اوروبا للتزود من آخر ما بلغته الحركة الرياضية العالمية فيها .

وممن ارسلوا ايضاً مرتين الى اوروبا في سبيل الرياضة السيد جميل الراوي مدير كلية الشرطة اليوم ، وسافر معه في المرة الثانية السيد عبد الكريم عسيران اللبناني المتعرّق .

وقد ازدهرت الحركة الرياضية منذ ذاك خصوصاً بعد ان جعل التدريب الرياضي اجبارياً في مختلف الكليات والمدارس . اما اهم الالعاب الرياضية السائرة على منهج منتظم فهي العاب الجماز (الالعاب السويدية) وكرة القدم وكرة السلة وكرة الطائرة والهوكي والالعاب الاولمبية (الركض والرمي والقفز) والملاكمة والسباحة والمصارعة .

وبديهي ان ابحث في هذا المقام بنظام الفتوة الذي ازدهر زمناً ولمع لمعاناً قوياً ، وهو ، وان خبا نوره اليوم بسبب الحرب وبسبب بعض الحركات

الداخلية ، فانه سوف يعود سيرته الاولى لانه مهوى افئدة الشباب .

والفتوة نظام عسكري وضعت له ادق الاسس الحديثة التي تخلق في الشباب روحاً عسكرياً يملي حب النظام والطاعة . وقد كان فرض هذا النظام على طلاب الصفوف المنتهية من المدارس الثانوية والمتوسطة ودور المعلمين والصناعة ، فاستبشر الشباب بهذا النهج فاندفعوا مخلصين الى تشجيع هذه الحركة ومعاضدتها بكليتهم . وقد تولى تدريب الطلاب ضباط عسكريون من الجيش يساعدهم عرفاء (ضباط صف) عديدون وقد خصصت اربعة ايام في الاسبوع للتدريب ادخلت في صلب المنهج الدراسي .

وليعلم الذين يهتمون بشؤون الرياضة مدى ما تم على يد الحكومة الوطنية من عمل باهر ، اذكر ان ثمة مناهج وانظمة موضوعة للالعاب الرياضية كافة وخصوصاً لكرة القدم والمصارعة والملاكمة وكرة السلة وللسباق الرياضي العام . وهذه المناهج والانظمة لها ما لانظمة الفروع التعليمية الاخرى ومناهجها من الحرمة والقدسية ، بل لقد لاحظت ان الحكومة لاتتهاون قط في بذل اقصى ما تستطيع من جهد ومال للمحافظة على اتساق سير الحركة الرياضية ولا تفرط مقدار ذرة في العبث بانظمتها وما سن لها من قوانين .

ولقد ترى كبار رجال الدولة العراقية يأخذون النوادي الرياضية تحت رعايتهم ويحثون زملاءهم على الانضواء تحت لوائها ويجودون بالمال والوقت للنهوض بها .

المدارس والحركة العلمية

اذاً فالمدارس في العراق هي ملاذ الحركة الرياضية وحصنها الحصين ، ومتى علمنا ان المدارس في العراق رسمية تحتضنها الحكومة وتنفق عليها ، وعلمنا انه

في سنة ١٩٢٠ لم يكن يوجد في مدارس العراق الا ثمانية الاف تلميذ موزعون على ثمان وثمانين مدرسة ، فاصبح عدد الطلبة مايقارب المئة الف موزعون على خمس مئة وخمسين مدرسة استنتجنا ان الاقبال على المدارس من حيث العموم هو اكثر من مقدرة وزارة المعارف على فتح المدارس لأن نسبة الازدياد في عدد الطلاب فاقت النسبة في عدد المدارس .

ومما يبهج حقاً ان نسبة البنات المسجلات في المدارس الابتدائية الرسمية هي في تزايد مستمر اذ اصبحت اليوم ثلاثين في المئة من مجموع الطلاب والطالبات بعد ان كانت من قبل لا تزيد على السدس .

ولقد خطت معارف العراق حقاً خطوات جبارة في حقل التعليم والارشاد ، ولم تستنكف عن الالتجاء الى المعلمين السوريين واللبنانيين والمصريين والاجانب . الا انها عادت تستغني عن هذه المساعدة بعد ان اصبحت دار المعلمين ودار المعلمات تخرجان فئة طيبة كل سنة ، وبعد ان استكملت البعثات العلمية الى الخارج دراساتها وتخصصاتها .

ولقد تفننت وزارات المعارف في العراق في تنويع المدارس النموذجية في كل مدينة وقرية ، فمن المدارس الصناعية الى المدارس الفنية البيتية الى دور المعلمين والمعلمات الريفية الى المدارس الزراعية . وعلى ذكر البعثات العلمية والفنية يلذ لي ان انقل بأن عدد اعضائها قد قفز من تسعة في سنة ١٩٢٢ الى اثنين وخمسين في سنة ١٩٣٣ واربعين في سنة ١٩٣٥ . وقد تفرق هؤلا بين لبنان ومصر وانكلترة واميركا والسويد وفرنسا .

وانني ما زلت اذكر الغبطة التي استولت علينا حينما تجولنا في حي المدارس في بغداد وتأملنا نهضة المدارس النموذجية ، وما بث في هذا الحي من حدائق بهيجة . ان العراق سائر بخطى جبارة برعاية وطنيين صادقين بلّغه

الله مناه . وكيف لا تكون الخطى جبارة والمسؤلون ادركوا ان النشء الحديث هو عماد كل اصلاح وهو دعامة كل بناء . وبدلاً من ان يأوى الاطفال الى بيوتهم خاملين ضامرين رأينا الحدائق العامة للاطفال يسرح فيها مئات ومئات منهم يختلفون الى شتى الالعاب ويمرحون في غبطة .

ويعجبك في العراق ويسترعي انظارك رجال الشرطة ؛ وتحس وانت تتفرس في حركاتهم وفي معاملاتهم للناس انهم ذوو ثقافة وانهم ذوو حول وطول ، ونظام وترتيب ، ومتى علمت ان على رأس شرطة العراق السيد احمد (باشا) الراوي أيقنت أن شخصية هذا الرئيس تنعكس على مرؤوسيه ويتأثر هؤلاء بها فتزيدهم مهابة وجلالا . اليس السيد احمد من ذوي المهابة والجلال ؟ بلى وربي ، فهو اللطف المجسم ، والادب المكمل وانك لتشعر وانت في حضرته بالرقة تتخلل حديثه ، وبالبشر يعم وجهه ، ويظل يدنيك من نفسه حتى تتحلل من ربقة الاستهياب وتصبح وكأنك والراوي خليلان لا ينفصلان .

الشرطة في العراق

وفي العراق للشرطة شأن واي شأن ، وعليها وحدها تلقى صيانة الأمن الداخلي ، وقد كانت امور الشرطة قبل استقلال العراق فوضى ، حفنة من الهنود والمسقطيين وابناء المستعمرات القريبة الأخرى ، يرأسها ضباط بريطانيون ، وفي مبداء سنة ١٩٢٢ عين لقوة الشرطة من العراقيين مدير عام ، ومدير لكل لواء ، وكانوا من الضباط العسكريين وممن خدموا في الجندرمة في العهد العثماني واستحدثت وظائف لضباط الشرطة البرطانيين بعنوان

«ضباط تفتيش» وانحصرت مهمتهم بالاستشارة والتدريب والارشاد ،فأخذت هيأة الضباط العراقية تمارس الاعمال الاجرائيـــه على مسؤوليتها وبذلك قد توزع مديرو الشرطة على أساس التشكيلات الادارية لكل لواء ورتب لهم المعاونون والمفوضون بنسبة اهمية اللواء فابدلت ايعازات التدريب الانكليزية بالعربية وبوشر بترجمة سجلات الشرطة وطبعها واملائها باللغة العربية .

ويشترط في قبول افراد الشرطة ان يكونوا من المتصفين بالاخلاق الحسنة والسمعة الطيبة غير محكوم عليهم بجنايـــة او جنحة مخلة بالشرف ويرجح تلامذة المـــدارس وخريجو الجيش على غيرهم على ان تكون لهم سحنات وهيآت مناسبة ومقاييس معينة وخاصة في الطول وسعة الصدر بشرط تدريبهم في مدرسة الشرطة الخاصة بقسمي الافراد المشاة والخيالة والمعلومات والقوانين المسلكية الضرورية الاخرى .

ويقبل في مدرسة المفوضين كل من انهى الدراســـة المتوسطة على ان يكون طالب الدخول حائزاً جميع الشروط الخاصة بقبول المفوضين طلاباً في المدرسة عند التدريب . والمفوضون على خمس درجات وقد احدثت مؤخراً درجة نائب مفوض وهي ادنى درجة من المفوض يبقى نائب المفوض فيها حتى تثبت كفاءته .

أما المعاونون من الدرجة الثالثة فقد اشترط في قبولهم في مدرسة المعاونين ان يكونوا عند خروجهم حائزين الشروط والتعليمات المعينة في النظام الخاص بخريجي المدرسة الحربية او بكلية الحقوق . ولا تحسبن ان القيود والشروط الموصوفـــة تطبق على اناس دون آخرين فقد تحققنا ان الحكومة العراقيـــة لاتقبل اي تدخل في هذا الشأن ولا تتسامح في اي قيـــد او شرط من تلك الشروط وهذا هو سر انتظام الشرطة وتألق نجمها .

وقد انيط تدريس المفوضين بهيأة كبيرة من الضباط الاختصاصيين ومحاضرين من اساتذة الحقوق وبذلك اصبحت مدرسة الشرطة تضاهي المدارس الاوربية . ومن جملة دروسها التدريب العسكري بنوعيه المشاة والخيالة .

أما الضباط (المديرون والمعاونون) فلهم دورة خاصة ارقى من دورة المفوضين .

وقد جرت الحكومة فيما عدا ذلك على سنة ارسال بعثات فنية الى لندن مؤلفة من ثلاثة ضباط كل مرة لدرس التطورات الشرطية ووسائلها الفنية الحديثة في مختلف فروعها .

وللشرطة في العراق سياراتها المسلحة وزوارقها التجارية المسلحة ايضاً واجهزتها اللاسلكية وهجانتها .

ولعلك تريدني ان اروي لك خبر هذه المدرسة رواية من شاهدها وقضى في تفقد اقسامها يوماً بكامله .

استقبلنا مدير المدرسة الهمام السيد جميل الراوي وهو شقيق السيد احمد، ويحمل رتبة عسكرية كبيرة (مقدم) يشبه اخاه في رقته وعذوبته ويختلف عنه بسمته العسكري الصارم . وراح يدور بنا ارجاء المدرسة ، او المدينة على الأصح ، ويشرح لنا باسهاب ما يخص كل قسم من الاقسام ، ودخلنا برفقته بعض الصفوف وحضرنا بعض التمارين وزرنا متحف الاسلحة ، ومتحف الادوات الاجرامية المصادرة من المجرمين ، والمكتبة وقاعة المحاضرات والمستوصف العام مع صيدليته ومختبره . ومن جميل ما رأيناه غرف الاستراحة التي تحوي كل وسائل الراحة . واعجبنا بخيول التدريب وعددها ثلاثة وستون رأساً وهي من اجمل الخيول التي تقع عليها العين ودعينا لمشاهدة بعض

انواع التدريب ، في الساحة الكبرى الفسيحة الارجاء ، فمن الكرّ والفرّ ، الى النزال والطعان الى استلقاء الخيول على الارض ساكنة وفرسانها يتمترسون بها لمواجهة العدو .

وكان مما بشرنا به المدير النشيط انه سيشرع هذه السنة بانشاء كلية عالية للشرطة يدرس فيها الطب والهندسة والحقوق .

وسألنا فيما اذا كان رجال الشرطة الخيالة يقتنون الخيول على حسابهم ، فكان الجواب ابتسامة فهمنا منها ان الحكومة هي التي تتولى تقديم الخيول وتنفق عليها عن سعة .

وفي المدرسة مئة وستون طالباً ولها موسيقاها الخاصة وتعد من ارقى الجوقات الموسيقية في العراق .

وفيما يلي نقصّ على القراء حكاية تدل على مدى ما وصلت اليه عناية الحكومة العراقية بتحسين حالة الشرطة .

لقد كان النظام المتبع في المدرسة ان يُقصى عنها من تظهر عليه علائم الامراض المعدية وخصوصاً مرض الحب الافرنجي (السيفليس) وكان هذا المطرود ينقل عدواه الى الاصحاء لبعده عن الرقابة ، غير ان الادارة عدلت عن هذا التدبير واصبحت تحتفظ بالمريض في مستشفاها الخاص وتبقي على راتبه ، تدفع لعائلته القسم الأوفر منه وتحتفظ له بالباقي الى ان يشفى وبذلك ساعدت على حصر الامراض المعدية في نطاق ضيق ونعم ما فعلت .

وفي العراق اليوم عشرون الف شرطي فتكون حصة كل شرطي مئتين من السكان . وهي نسبة باهرة اذا قيست بغيرها في المدن الراقية مع العلم ان نهضة العراق في هذا المضمار لم يمض عليها الوقت الكافي .

الثقافة العامة

والى جانب النهضة العلمية والعسكرية في العراق تسير الحكومة العراقية على غرار الحكومات الراقية في تدعيم وسائل الثقافة العامة فتشجع الاندية العامة وتكثر من المكتبات .

لم يكن في طول العراق وعرضه قبل تشكيل الحكومة العراقية مكتبة عامة يحج اليها القراء للاستفادة منها سوى مكتبة واحدة سعت في انشائها المستشرقة المعروفة المس بل . تألفت في رأس القرية في بغداد وكان يلحظها العالم انستاس ماري الكرملي مع جماعة اخرى من ادباء بغداد وقد استمرت هذه المكتبة عدة سنوات سدت فراغاً جزئياً حتى تم للحكومة الوطنية تأسيس مكتبة عظيمة اندمجت فيها مكتبة المس بل .

والمكتبة العامة اسستها وزارة المعارف سنة ١٩٢٩ في القسم الخلفي من بناية المدرسة الثانوية المركزية ثم انتقلت سنة ١٩٣٢ الى بناية مكتبة الاوقاف العامة التي شيدت على احدث طراز هندسي في فسحة كبيرة جداً وراء باب المعظم ، ولما كانت اجنحة هذه البناية ضخمة يمكنها ان تستوعب اكبر عدد ممكن من الكتب قررت ادارة المكتبة العامة نقل مكتبتها الى الجناح الايسر من هذه البناية . واكثر اسفار هذه المكتبة من المطبوعات الحديثة القيمة ويبلغ عددها الان زهاء خمسة عشر الفاً .

اما مكتبة الاوقاف العامة التي أسست سنة ١٩٢٨ فقد جمعت اسفارها من مكتبات الاوقاف في جوامع بغداد وبينها مخطوطات كثيرة نادرة .

وفي العراق غير هاتين المكتبتين مكتبة غازي في الموصل ومكتبتا النجف والبصرة . هذا كله عدا المكتبات الخاصة المليئة بالنادر من المخطوط والمطبوع .

واذا تسنى لك ان تزور احد المكاتب الخاصة او العامة رأيت حشداً من الناس ، بينهم العالم والاديب ، والمؤرخ والمثقف ينهلون من ينابيعها بلهفة وشوق .

نشاط اللبنانيين

واردنا ان نتعرف الى نشاط اللبنانيين في العراق فقصدنا في الثالث من نيسان معامل الشهم المقدام السيد نجيب عبود للسجاير فاذا بها تضم زهاء ثلاث مئة عامل . والادارة فيها تسير على نظام موضوع لا يعتريه تغيير . وحالة العمال الصحية يعتنى بها وتوفر لهم مؤونتهم على وجه يضمن تكافؤ دخلهم ومصروفهم والدخان في العراق يأتي من المناطق الشمالية وقد كان مزجه قبيل الحرب سهلاً اما اليوم فالسجاير العراقية وطنية صرفة . ومما كان موضع الدهشة ما علمناه من ان السيدات في العراق يدخنّ اكثر من الرجال . ويقبل العراقيون على السجاير العراقية رغم منافسة السجاير الانكليزية والاميركية والتركية لها منافسة جبارة . وبيع الاصناف الاجنبية في العراق حر اذ لا انحصار في العراق . ويأبى السيد عبود واقاربه الذين تدور المعامل على سواعدهم الا ان يقابلوا الجميل بالجميل فتراهم يساهمون في كل عمل خيري او وطني ويساعدون المؤسسات الصحية والمشاريع الخيرية بسخاء غريب .

وانتقلنا من معامل السيد عبود الى معمل الطابوق الذي يخص مواطننا السيد حسن المخزومي ، فوجدناها متقنة الى حد ما . والطابوق في العراق يقوم مقام البتون والحجر الرملي والنحيت وغيره في لبنان . وترى ابنية العراق برمتها مصنوعة منه وله قوة احتمال للضغط تقدر بـ ٣٢ طناً على ٢٥ × ١٢ وارتفاع ٧٨ سنتمتر وهو يصنع من الكلس الوطني والرمل . وقد كانت معامل الطابوق فيما مضي عبارة عن اتونات وقائن تزج فيها قوالب اللبن مدة ثم تخرج مشوية صفراء او حمراء او بيضاء بالنسبة الى طول مدة الايقاد او قصرها ، اما الآن فقد تأسست معامل عظيمة من احدث طراز وفواخير كبيرة تصنع الطابوق بطريقة علمية فيخرج من المعمل اصفر اللون ذهبياً قوياً يقاوم التقلبات الجوية . وقد اقبل العراقيون على هذا النوع من الطابوق واخذوا يتفننون في بنائه وفي رصفه في الطرقات .

وعرجنا على معمل الكهربيت الذي اسسه صديقنا الاديب السيد عبد القادر نجيب العيتاني صاحب جريدة «صدى الانصار» البيروتية فوجدناه واقفاً عن العمل بعد غيبة صاحبه الطويلة عن العراق وبعد ان اغرقه السيل الذي داهم بغداد منذ عدة سنوات . والهمة منصرفة الى اعادة تشغيله بعد ان زالت العقبات في وجه صاحبه . واللبنانيون لهم غزوات موفقة في العراق تنبه لها الصهيونيون فديت نار الحسد والبغضاء في نفوسهم وراحوا يحرضون ذوي الشأن بأساليبهم الماكرة على سد ابواب الرزق في وجوه الغرباء وليسوا الا هم الغرباء . وعسى ان تزول الغمة فيعود الى اللبنانيين نشاطهم في ديار العروبة .

الوفد اللبناني

وكان من المقرر ان يصل الوفد اللبناني الشاخص الى الرياض في ضحى يوم الاثنين الثالث من شهر نيسان، فقصدنا الى المطار حيث تحط قافلة نزن فوجدنا دولة رئيس الوزارة العراقية ورئيس مجلس النواب ووزير التربية ووزير الخارجية وغيرهم من كبار رجالات الادارة والجيش قد سبقونا فانتظرنا مع المنتظرين وما هي الا برهة حتى اطلت سيارة نزن معتزّة بالعلم اللبناني يخفق في مقدمتها فكان لقاء وكان عناق. وبعد ان استعرض رياض بك الصلح حرس الشرف رافق المستقبلين الى فندق زيا. ولولا ان دار الضيافة يشغلها موقتاً سمو الأمير زيد لكان مقام وفدنا فيها.

وكانت آخرة المطاف في يومنا هذا سهرة في مقهى الجواهري وهو ثاني مقهيين للرقص الشرقي. أما مقهى الف ليلة وليلة فقد كان «معزلا» لبضعة ايام بسبب وفاة صاحبه. وفي مقهى الجواهري تعرفنا الى صفحة من صفحات بابل. فالراقصات مزيج من العراقيات والارمنيات والكرديات والسوريات ومثلهن رواد المقاهي الذين كانوا يحتسون الخمرة بشغف ما عليه من مزيد. وبسبب هذا الامتزاج الغريب لم يكن في الامكان تمييز لون المقهى او تكوين فكرة عن مدى نجاح الفن فيه، فهدف الراقصات والزبائن واحد وهو بذل ماء الحياة من جهتهن وتبذير المال من جهتهم استجلاباً لرضائهن. وكان مضيفنا السيد نجيب عبود مبذراً حقاً في تلك الليلة ولكن استحصالاً على رضائنا لا رضائهن. والسهرة في امثال هذه المقاهي، حتى وفي المقاهي التي

صنفتها أمانة العاصمة في الدرجة الأولى تستلزم حتماً ان تخرج منها وكأنك خارج من معمل مثقل بالزيوت والشحوم ، من كثرة من يتعاقب في الجلوس فيها من ذوي المهن الحقيرة ولصعوبة اجراء اي تنظيف او تطهير فيها بسبب من يحتشدون فلا يفارقونها لا ليلاً ولا نهاراً . ويلاحظ ان مقاهي بغداد وغيرها من المدن العراقية يعوزها الشيء الكثير من النظافة ومن الاتقان . وما يقال عن المقاهي يقال عن المطاعم البلدية . واغلب الظن ان طبيعة الصحراء المحيطة بمدن العراق ، وطبيعة الناس الذين يدخلون اليها منها ، هي من ابرز اسباب هذا النقص الذي تنبه له المثقفون والاثرياء فراحوا يرتادون النوادي الخاصة او يعقدون حلقاتهم في البيوت ، وسواء لديهم أكانوا في النوادي او البيوت ، فخزائن المشروبات (بارات) ملآى بالغالي والنفيس منها ، وحيثما وُجد المشروب فثم محط الآمال . وفي الرابع من نيسان كنا نتجول في شارع الرشيد متفرجين مستطلعين فطلع علينا بغتة موكب الوفد اللبناني ، فلمحنا دولة الرئيس ، رياض بك ، وهو الذي لاتفوته شاردة او واردة ، فأوقف سيارته وترجل ودعانا الى مرافقته في زيارة بعض المؤسسات والمقامات الرسمية ، وكنا بدأنا بالاعتذار حينما وجدنا انه لا مفرّ من الاذعان فقد كاد من جراء اهتمام دولته بنا ، ان يختلط الحابل بالنابل في هذا الشارع الذي يعجّ بالخلق وكلهم عيون تستطلع سبب الوقوف ، ومن وراء سيارة الرئيس سيارات المواكبين تنتظر نهاية الحديث ، واذعنّا وركبنا مع صديقنا السيد احمد الراوي الى الاضرحة الملكية حيث وضع دولة الرئيس اكليلاً من الورد . وكان يتلو الفاتحة عند كل قبر ، من قبر فيصل الأول الى قبر الملكة ام غازي الى قبر غازي والملك علي الى قبر امرأة الحسين جدة غازي الى قبر جعفر باشا العسكري وقبر رستم حيدر وقبر الاميرة اخت غازي . وفي كل غرفة من

غرف الضريح الفخم قاري، يتلو القرآن بالمناوبة بلا انقطاع . والقبور في الاضرحة لا تعلو عن سطح الارض تمشياً مع سنة رسول الله « وخير القبور الدوارس»

ولقد كان الوزير المفوض السيد تحسين قدري يحسب للزيارة التالية الف حساب . فزيارة جامع الكاظمين لا بد منها ، ومن لا يزور الكاظمين لا يعرف بغداد . ولكن كيف السبيل الى هذه الزيارة المحللة لاناس المحرمة على آخرين ؟ وأسرّ اليّ السيد تحسين بما يساور نفسه فشاركته القلق واتفقنا على ان امتاع النظر بقبتي الجامع من الخارج اكبر تأثيراً وادعى الى الاعجاب وثمة حقيقة كتمتها عن السيد تحسين . لقد كنا زرنا هذا الجامع فلم نلق اعتراضاً . وتمتعنا بمفاتن الفن واخذنا بالزخارف والنقوش واصبحنا من دهشتنا سكارى وما نحن بسكارى

والكاظمين جامع عظيم فخم رحب الفناء ، مشيد الارجاء ، رصين

البناء ، مزخرف باتم الزخرفة ومزين بابدع النقوش وفيه قبر الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد عليهما السلام . تعلوهما قبتان عظيمتان غشي سطحاهما بالذهب الخالص . اعتنى به الملوك فعلقوا فيه النفائس داخلاً وخارجاً وشيدوا المآذن الذهبية الوهاجة التي تخلب الالباب ، وطعموا رخامه بالوان عجيبة من القيشاني ومن الفضة ، ونقشوا الايات بخط يعد آية في الابداع . ويتبع الجامع اروقة بلورية وارتجة قبلية وخلفية ويؤم الجامع عشرات الالوف من الزوار سنوياً بينما سيل الاهلين يكاد لا ينقطع ليلاً ونهاراً .

واستعاض الوفد اللبناني عن زيارة الكاظمين بزيارة جامع الامام الاعظم ابي حنيفة . وهو جامع رحب الفناء ايضاً واسع المصلى على مصلاه قبة قائمة على سوار من رخام ومرقد ابي حنيفة متصل بهذا المسجد والقبة التي عليه مبنية بالحجر الكاشاني الملون وشيدت بجانب القبة مئذنة شامخة لطيفة مذهبة الرأس . وانشئت في الجامع مدرسة عن يمين المصلى وحجر كثيرة متصلة بسور المسجد . وفي بغداد جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني الواسع جداً وصاحب القبة العظيمة الفخمة البديعة الشكل المتقنة الهندسة ، المبنية بالحجر الكاشاني المصنّع بالاصابيع المختلفة مع النقش العجيب تحيط بها المآذن . وقد احاط بالمصلى رواق واسع عقد على اساطين الرخام الابيض . وهو محجة الزوار وبهجة الانظار .

وفيما عدا هذه الجوامع الثلاثة تعَد في العراق من المساجد والجوامع والتكايا والمراقد ما ينوف على المئة .

وشاء دولة الزعيم الرئيس ان يفيض علينا من حبه ما يوطد ثقتنا بنبله فدعانا في ذلك اليوم الى تناول طعام الغداء على مائدته في نزل زيا واردنا من جهتنا ان نيسر له سبيل الراحة والاستجمام استعداداً لسفره الطويل الشاق ،

فأبى وأصر وامتثلنا وذهبنا في الوقت المعين فوجدنا الزعيم مختلياً بطلاب الشفاعة والحاجة فأكبرنا هذه الهمة التي لا تفتر والعزيمة التي لا تخور.

لبنان في العراق

وعقدنا مجلساً كنا نتوق اليه مع السيد احمد الراوي احد رجالات العراق اللامعين والسيد روفائيل بطي الصحفي المجاهد وتناول الحديث لبنان، وما احلى الحديث عن لبنان وخصوصاً في حضرة الشيخ بطرس الجميل ابن لبنان البار، فصال الشيخ وجال، وكان يحسب ان سيكون بينه وبين الحاضرين براز، فاذا بالحاضرين يؤكدون ان لبنان عزيز عليهم، حبيب الى نفوسهم، يكرهون له الذل والاستعباد ويريدون له استعادة مجده في السير في الطليعة ليكونوا هم وراءه حماة له، يدفعون عنه المكاره، ويشدون أزره. وما كان لهم ولا سيكون لاي قطر من اقطار العرب اي مطمع فيه سوى الطمع في تمتعه بحريته واستقلاله. واستفزت هذه التصريحات نخوتنا فشكرنا وقلنا ان لبنان ما يزال يبدي من ضروب الجهاد ما يرفع رأسه، وانه هو المشرف على البحر الابيض، لا يضن بيده يبسطها لشقيقاته، وبقلبه يقدمه عربوناً لاخلاصه، ولقد كان في موقف الاقطار العربية نحوه في محنته ما يشجعه على الاعتماد على حسن النية وهو بهذا الامل سيثابر على نضاله ما استطاع الى ذلك سبيلاً.

وتشعب الحديث وتناول القضية اللبنانية والقضية العربية من عدة نواح وكانت وجهات النظر تتلاقى في صعيد واحد. فالغاية واحدة والامل المنشود واحد.

ودلفنا الى المائدة السخية التي اعدت وفاقاً لما اراده الزعيم، فنعمنا بحديثه الطلي الى جانب المآكل الشهية، وتركنا ليقابل ذات حاجة فقلنا : على قدر اهل العزم تأتي العزائم .

ساحة الكشاف

وفي الساعة الثالثة قصدنا ساحة الكشاف بدعوة من وزارة المعارف والتربية البدنية لحضور السباق الرياضي والاستعراض السنوي العام للمدارس المتوسطة والاعدادية ودور المعلمين الرسمية والاهلية والاجنبية في بغداد فقط، ودخلنا الساحة وهي تعج بالخلائق فوجدناها ساحة رحبة ضرب الكشافة في مؤخرتها خيامهم التي نصبت عليها اعلامهم الى جانب الاعلام العراقية . وخططت الساحة بالخطوط البيضاء لتستقيم عليها صفوف الطلبة ونصبت عدة مكبرات للصوت في ارجاء الساحة ليستمع الناس الى كل حركة . اما المدرجات فقد جعلت على شكل نصف دائرة تتوسطها منصة الملك ووزرائه ورجال حاشيته وللضيوف . واستعدت الموسيقى الرسمية الاحتفاء بمقدم جلالته . ووصل اعضاء الوفد اللبناني في موكب رسمي فاحتفى به القوم احتفاء رائعاً ووصل على الاثر جلالة الملك وبرفقته سمو الوصي خاله فاستقبله دولة نوري باشا السعيد رئيس الوزراء والوزراء واركان الجيش والوفد اللبناني وصدحت الموسيقى بالنشيد العراقي والناس وقوف وكلهم يحدقون بالمليك وعلى وجوههم آيات الرضى والاطمئنان . والملك الصغير بعينيه العراقتين وفمه الواسع ولونه الضارب الى السمرة، وجاذبيته القوية يستهوي افئدة الشعب العراقي ويستثير حب العرب قاطبة . وصافح الملك دولة رئيس

وزراء لبنان فهتفنا مع الهاتفين وطربنا مع المطربين ، ومرت المدارس المشتركة في الاستعراض فوجدنا بينها دار المعلمين الابتدائية ودار المعلمين الريفية والاعدادية المركزية والصناعة والغربية المتوسطة والرصافة المتوسطة والكرخ المتوسطة والمركزية المتوسطة والشرقية المتوسطة والاعظمية والكاظمية المتوسطة وكلية بغداد والتفيض الاهلية والاميركان وكلية الملك فيصل واعدادية انيس عادل وثانوية التجارة . وقام الطلبة بحركات سويدية بديعة على انغام الموسيقى ، ثم تباروا في سباقات المسافات الدولية المختلفة ، وقام جلالة الملك على الاثر فوزع مع سمو خاله الجوائز على المدارس الفائزة وكان بينها كأس من جلالته وكأس صاحب السمو الوصي وكأس معالي السيد تحسين علي وزير المعارف وكأس وزارة المعارف وكأس

كورنواليس السفير البريطاني .

وعدنا من الساحة ونحن نمني انفسنا بالسير على غرار الحكومة العراقية

في تعزيز الحركة الرياضية وتوليتها اكبر نصيب من اهتمام حكومتنا ، وحمدنا الله الذي يسر لدولة الزعيم رياض بك ووزيره الامين سليم بك تقلا وصحبه الكرام حضور هذا الاحتفال وزيارة بقية المؤسسات الرياضيـة عسى ان تكون لهم حافزاً للعمل والله الموفق .

وفي الليل تمتعنا بمنظر الزوارق الحربية العراقية وهي مكسوة بالمصابيح الكهربائية تربض في دجلة ، ودجلة يتهادى من تحتها ويختـال في جريانه افتخاراً واعتزازاً . ولدى الحكومة العراقية عدد من هذه الزوارق الثمينة سميت باسماء القواد البحريين العرب . وصدف ان كان بجانبنا ضابط انكليزي برتبة عالية جداً وهو عضو البعثة البريطانية في العراق وحوله عدد من الضباط يشرح لهم فائدة هذه المراكب ويضبط على ساعته الثمينة مواقيت ضرب المدافع التي كانت تطلق احتفاء بعيد جلوس فيصل الثاني . وسمعته يؤكد لسامعيه ان البحارة الحربيين العراقيين قد اقاموا الدليـل على كفاءتهم في

اتقان الضرب اتقاناً يجارون فيه زملاءهم الانكليز . اما عن مهارتهم في تركيز حركة البواخر مع جريان النهر الشديد فلا يبزهم فيها احد .

النهضة العمرانية

وفي السادس من نيسان وهو يوم رحيلنا عن بغداد الى البصرة انقطعنا الى زيارة العمارات والمؤسسات البلدية ودرسها عن كثب ، والواقع ان في بغداد نهضة عمرانية جديرة بالدرس والاعتبار فبعد ان لم يكن في بغداد كلها في سنة ١٩٢٧ طريق واحدة معبدة اصبحت شوارع بغداد وازقتها معبدة بالجير الذي يشابه الاسفلت والمستخرج من العراق نفسه . ومتى علمنا ان طول مدينة بغداد على نهر دجله يبلغ خمسة وعشرين كيلو متراً ادركنا مدى الجهود التي بذلت في بضع السنوات الاخيرة لتعميرها على احدث طراز . واول ما يبذو لك في بغداد استقامة الشوارع حتى لا ترى فيها نتوءاً وكثرة الحدائق والمنتزهات العامة وما غرس فيها وفي جوانب الطرقات من اشجار . وحواجز المرور المنيرة المقامة على ارتفاع ثلاثين او اربعين سنتمتراً في مفارق الطرق لتحديد وجهات السير ، والجزء السفلي مبني بالطابوق ومن فوق البلاط الناصع ووفرة المباول العامة وهي قائمة في ارصفة الشوارع على شكل هندسي بديع وكذلك وفرة المصابيح العامة وهي معمولة على شكل ثريات

البلديات وفن التجميل

وطريقة بلدية بغداد وبلديات المدن الاخرى في تجميل المدن ترتكز على المنطق والفن العمراني الحديث وتتلخص في ان البلدية تشتري او تستملك

ارضاً فسيحةً في قلب المدينة او في الضواحي فتشق فيها الطرقات وتعبدها وتنشيء الحدائق العامة والارصفة وتجهزها بالمصابيح الكهربائية والمباول ومن ثم تبيعها من الراغبين في البناء بعد ان تكون قد اقامت هي بناء نموذجياً

ومما يجدر ذكره ان المعامل والمؤسسات المزعجة او الخطرة قد اقيمت خارج بغداد ولا تسمح البلدية باقامة محل واحد منها في قلب العاصمة مهما كانت الاسباب

اما النظافة العامة فمؤمنة بصورة مرضية وقد ساعد رخص اجور اليد العاملة على توفير العدد اللازم للقيام بالكناسات والتنظيفات

ومن اهم المباني البلدية في بغداد بهو امانة العاصمة في شارع الرازي وهو من افخم واجمل المباني حتى ان صديقي الشيخ بطرس الجميل أكد انه من المباني التي يعز نظيرها في برلين ولندن . وهذا البهو مخصص للاستقبالات والسهرات والولائم والاجتماعات الكبرى . يحتوي عدة صالات ومنها صالة واحدة تبلغ مساحتها خمسة وثلاثين متراً طولا بثمانية عشرة عرضاً وفي البهو بار اميركي ضخم وصالات متعددة ومحاط بحدائق غناء ، تتسع لاكثر من الفي مدعو في الولائم الكبرى وتتخللها احواض كبيرة من الرخام الناصع وله ايضاً سطحية جميلة مطلة على النهر احاطت بها الحدائق وجللت بالاشجار المثمرة . وفي داخل البهو نصبت المراوح الكهربائية ومجددات الهواء وصنعت الكراسي المخملية او الجلدية الثمينة وفرشت الطنافس الكبيرة التي بذل في الحصول عليها مال كثير ويجمل واجهات البهو الاربع حبال من المصابيح الكهربائية تنار ليلاً فتبدو فتنة للناظرين

وفي شارع الرشيد شيدت البلدية بناء آخر للحفلات والاستقبالات جهزته بأنفس الرياش والاثاث

ويثني القوم في بغداد على امينها السيد أرشد العمري ويعزون اليه الفضل في هذا الازدهار العمراني ، ولقد حقق الخبر الخبر ولمسنا بانفسنا شدة عناية هذا الاداري الحازم بالمرافق العمرانية . لقد عاهد نفسه ان لا يفرط في حق من حقوق بلدية وان لا يتهاون في امر من امورها وان لا يقبل شفاعة شفيع او وساطة وسيط وتدرع بالحزم والارادة فكان له ما اراد واصبح من انقطع عن بغداد بضع سنين يعود اليها اليوم فلا يكاد يتبين معالمها القديمة ويوشك ان يشك في يقظته . ان همم الرجال تزيل الجبال ، وهمة ارشد العمري قد محت من جبين بغداد كل لطخة سوداء وهمته جعلته ينتزع الصلاحيات انتزاعاً ابتغاء مرضاة ضميره ومرضاة الناس . وهو اول من يحترم القوانين والانظمة الموضوعة ليكون اسوة حسنة . وبذلك افلح . وادركت الحكومات الرشيدة مدى ما تم على يد هذا الاداري الحازمة فعززت ثقتها به وتركته يصرف الامور على هواه وتبعه زملاؤه في المدن الاخرى وسعواسعيه فكان لهم هم ايضاً ما ينشدونه من اصلاح يتحدث به كل من تجول في العراق .

والبلديات في العراق تقوم وفق قانون يعرف بقانون ادارة البلديات رقم ٨٤ لسنة ١٩٣١ مع تعديلاته الموحدة . وقد صنفت البلديات الى اربعة اصناف اولى وثانية وثالثة ورابعة فالاولى هي التي تربو وارداتها السنوية على خمسة عشر الف دينار والثانية على ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسين ديناراً والثالثة على سبع مئة وخمسين والرابعة مالا تتجاوز وارداتها السبع مئة والخمسين .

وتعتبر امانة العاصمة في بغداد من الدرجة الاولى ويطلق على رئيسها امين العاصمة اما رئاسة بلديات الاصناف الاربعة فتعهد الى اشخاص من ذوي المقدرة واللياقة والخبرة في الامور الادارية على ان يكون الرئيس من اهالي المنطقة عدا الصنف الرابع الذي يجوز اناطة شؤونه بالموظف الاداري علاوة على

شؤونه . والرؤساء يعينون من قبل وزير الداخلية . أما امين عاصمة بغداد فيعين مع زملائه رؤساء بلديات الصنف الاول بارادة ملكية تصدر بناء على اقتراح وزير الداخلية وبموافقة مجلس الوزراء على ان يكونوا تابعين لكافة قوانين موظفي الدولة المدنيين . أما رؤساء بلديات الصنوف الاخرى فيعينون من قبل وزير الداخلية كما سبق بيانه .

وتتألف البلدية من الرئيس والمجلس والموظفين الفنيين وهيأة الكتبة وسائر الموظفين والمستخدمين .

والمجلس البلدي هيأة تنتخب بالاقتراع السري من قبل مجموع ناخبي البلدية . ويتألف من عشرة اعضاء في بلديات الصنف الاول وثمانية في الصنف الثاني وستة في الصنف الثالث واربعة في الرابع

وفي البلديات التي تشتمل على ملل تختلف عن اكثرية الاهلين فتمثل تلك الملة او الملل في المجلس مباشرة على ان لا يحق لاية ملة ان تمثل مباشرة اذا كان عددها يقل عن خمسة بالمئة من مجموع اهالي المنطقة البلدية .

ومدة العضوية للمجلس اربع سنوات . وخدمات الاعضاء فخرية . وينعقد المجلس مرة واحدة في الاسبوع على الاقل ويمكن عقد اجتماعات اضافية في اي وقت كان يراه الرئيس ضرورياً .

وتتألف واردات البلدية (١) من الرسوم العادية (٢) من المخصصات والاعانات التي تمنحها الحكومة . (٣) من الرسوم التي تخصصها الحكومة للبلديات (٤) من المبالغ التي تحصل عليها البلدية من الشرفية او غيرها (٥) من الغرامات التي تفرضها المجالس البلدية . الدعاوي الجزائية (٦) من الايراد الذي يحصل من الخدمات العامة والمشاريع التي تقوم بها البلديات (٧) من بدلات الاجارة وغيرها من الواردات التي تحصل من املاك البلدية واخيراً من التبرعات .

النشاط الحكومي

وما دمت قد رسمت لك صورة عن رقي بغداد العمراني فلا اجد ندحة عن ان ارسم صورة اخرى عن نشاط الحكومة ، والحكومة في العراق هي التي تضطلع بما دق وجل من الامور وهي التي تهيمن على مرافق العراق كافة . واينما سرت تجد اثراً من آثار اجتهادها . ولما كانت الحكومة تتألف في الدرجة الاولى من الموظفين فهي توليهم اكبر عناية وتشرع لهم من الانظمة ما يكفل راحتهم ويعزز جانبهم . ولقد استنّت في معاملتهم خطة حميدة من شأنها ان تنزع الحسد من قلوبهم فابطلت السيارات الرسمية ذات الشارات المميزة ولا تجد في العراق من تلك السيارات التي تختال في الشوارع بها ومن عليها سيارة واحدة ما عدا سيارة الملك وسيارة الوصي . وتدفع الحكومة لمن يضطر من موظفيها الى التنقل تعويضات اما مقطوعة او كيلومترية . وتنهج الحكومة ايضاً نهجاً حميداً في تشييد المنازل الحديثة لموظفيها في محطات السكة الحديدية وفي المدن الكبرى المتصرفين وكبار الموظفين .

« ولما ارتفعت اسعار المعيشة كان اصحاب الدخل المحدود وفي رأسهم الموظفون والمستخدمون اول من يستحقون المساعدة ، فوضعت الحكومة نظاماً يقضي بصرف مئة واربعين في المئة لمن كان مرتبه لا يزيد عن خمسة جنيهات ومئة وعشرين في المئة لمن زاد مرتبه عن خمسة جنيهات ولم يتجاوز تسعة جنيهات ومئة في المئة لمن كان مرتبه عشرة جنيهات ثم تتناقص العلاوة حتى يصبح من يتقاضى مئة جنية مرتباً يأخذ اربعة وعشرين جنيهاً علاوة »(١)

(١) من حديث لوزير مالية العراق السيد علي ممتاز نشره « المصور » في عدده ١٠٢١ الصادر في ٥ ايار سنة ١٩٤٤

وفي العراق تضخم مالي كبير فقد كان النقد المتداول قبل الحرب خمسة ملايين ديناراً ونصف المليون فاصبح الان اربعين مليوناً وكانت موازنة العراق بجميع مواردها لا تتجاوز الثمانية ملايين ديناراً فاصبحت اربعة وعشرين مليوناً

وبديهي ان يؤدي هذا التضخم الى ارتفاع الاسعار وغلاء المعيشة اذ ان زيادة الاسعار تتمشى دائماً مع زيادة النقد المتداول وقد زادت الاسعار في العراق لهذا السبب ستة امثال ما كانت عليه قبل الحرب

ولم تقف الحكومة مكتوفة اليدين ازاء هذه الحالة فهي قد لجأت الى نظام البطاقات في بعض الاصناف التي تستهلك بكثرة ثم عمدت الى الاستيلاء على خمسين في المئة من المحاصيل العراقية الحب كالحنطة والشعير وباعتها من الجمهور بالاسعار الرسمية وحرمت البيع بغير هذه الاسعار . وعقدت ايضاً قروضاً وطنية لامتصاص جانب من التضخم من جهة وللقيام بالاصلاح القومي والمنشآت الوطنية من جهة اخرى . ومن تلك القروض قرض قصير الاجل فائدته ثلاثة في المئة لمدة ثلاث سنوات وقرض طويل الاجل لمدة عشرين سنة بفائدة قدرها اثنان في المئة مع سحب يانصيب بين المساهمين مرتين في السنة .

والاهم من ذلك كله انها اخذت ببيع الاراضي الاميرية وعندها منها الشيء الكثير وفرضت من ثم ضريبة اضافية تصاعدية على الدخل . وفي هذه المناسبة اذكر ان العراق كان اول بلد شرقي ادخل ضريبة الدخل في بلاده وقد فرضت على جميع انواع الدخل منذ سنة ١٩٢٨ فيما عدا الزراعة التي وضعت لها ضريبة خاصة

والجدير بالذكر ايضاً انه لما دخل البريطانيون العراق اهملوا ضريبة الدخل

ولم يقوموا بجبايتها لا جرياً مع التعامل القديم ولا بسن قوانين جديدة غير ان الحكومة العراقية اصدرت في سنة ١٩٢٧ قانوناً رقمه ٥٢ فرضت بموجبه الضريبة على جميع الارباح . وظلت تعمل في هذا القانون تحويراً وتحسيناً حتى اصبح اليوم من اكثر القوانين اتساقاً مع الحالة العامة .

وفي العراق ضرائب غير هذه منها ضريبة الاستهلاك وهي على المحصولات الزراعية والطبيعيه وضريبة الاملاك

تجارة العراق

ويجدر بي وقد طرقت موضوع ارتفاع الاسعار أن الم الى نتيجة الاستقصاء الذي قمت به لمعرفة دخائل السوق التجارية فاتضح لي ان هذا الارتفاع سببه تهريب البضاعة عن طريق المضاربة والاحتكار والتخزين . ثم ان الحكومة أحصت البضائع وسعرتها فلم يعد ينزل منها الى السوق الا النذر اليسير وساعد على الارتفاع ايضاً الاحتكار الذي تفشى في الهند ، وتعد الهند المصدر الاكبر للعراق . والاستيراد من مصر وتركيا وفلسطين متعذر بسبب عدم انتظام المواصلات من جهة والقيود الاقتصادية والتجارية الموضوعة في كل من تلك الاقطار من جهة اخرى . وثمة سبب آخر لما لاحظته من ندورة البضاعة في العراق وهو تهريبها الى العجم وتركيا بعد ان جنحت الحكومة الى مراقبتها مراقبة دقيقة ، ويدلك على ندورة البضاعة توزيع الحكومة على كل نفس في العراق خمسة امتار فقط من الاقمشة سنوياً . ولما كانت المواد الغذائية داخلة في سوق التهريب وارتفاع الاسعار فقد اصبحت الطبقة الفقيرة عرضة المجاعة وخصوصاً في المدن الثانوية والقرى ، حتى التمور

التي هي مورد البـــلاد الاساسي ارتفعت اثمانها وعز الحصول عليها بسهولة واستهلاكها بكميات كافة .

واذا اردت مثلاً على غلاء الحاجيات الضروريـــة فاعلم ان سعر البرتقالة الواحدة في بغداد وفي البصرة ثلاثون فلساً او ربع ليرة لبنانية وسعر الكيلو الواحد من السكر ثماني ليرات او سبع ليرات ونصف الليرة اللبنانية وسعر البيضة الواحدة اثنا عشر فلساً او عشرة غروش لبنانية وسعر كيلو البطاطا مئة فلس او تسعون غرشاً لبنانياً وسعر الرز في بغداد خمسة وستون غرشاً لبنانياً للكيلو وفي البصرة مئة وعشرون غرشاً . وقس على ذلك

ان اهم بضاعه يصرف عليها العراق لاستيرادها هي الاقمشة القطنية ثم يليها السكر فالمعادن المشغولة والخام والماكنات والآلات فالاقمشة الحريرية فالزيوت فالشاي فالعربات فالاقمشة الصوفية فالسيارات واخيراً المشروبات الروحية والورق

أما ما يصدره العراق فهو التمور والحبوب واهمها (الشعير والحنطـة) فالجلود فالمواشي فالمصارين فالقطن فالتبغ والحيونات الحية . وتمور العراق تعد اجود التمور العالمية على الاطلاق سواء أكان من جهة جودتها وطعمها او من جهة غنائها بالمواد المولدة للكالوري التي تتلاءم والجراية التي يتطلبها الغذاء الصحي ويساوي ما يصدره العراق منه الى سائر انحاء العالم بما يقارب الثمانين في المئة من مجموع تمور العالم . وللتمور انواع عديدة تبلغ ما يقارب المئـة والثمانين نوعاً وتقدر مساحة احراجه في جميع انحاء المملكة العراقيـة بخمس مئة وخمسة وعشرين الف اكر يتراوح عدد نخيلها ما بين سبعين مليوناً وثمانين مليوناً . وفي منطقة شط العرب (لواء البصرة) وتمتد على مسافة ١٧٠ ميلاً من الفاو الى القرنة يتراوح عدد النخيل ما بين ٢٣ الى ٢٥ مليوناً تنتج نحو

نصف مليون طن سنوياً .

ويقطف الثمر في اوائل ايلول سنوياً وهو اما ان يلقط واحدة فواحدة كما يجري في التمور النفيسة او النادرة او ان يقطع العرجون من اصله وينقل الى مداخر التمر حيث يتم تصنيفه بحسب انواعه ومن ثم يرسل الى المكابس حيث تجري عليه عملية الكبس والمداخر كثيرة لا تحصى

اما الحبوب فقد كان يجدر ببلد زراعي كالعراق وهبه الله الدجلة والفرات ان يكون في مقدمة صادراته التجارية الحبوب على اختلافها غير ان الاحوال السيئة التي تنتاب الزراعة فيه من وقت الى آخر تؤثر في كميات الحبوب التي تصدر الى الخارج فقلة الامطار احياناً وتسلط الجراد بعضاً او الغرق او الرياح السمومية كل ذلك من العوامل التي تؤثر في قلة المحاصيل الزراعية غالباً . وقد يقع في بعض السنين انه يحتاج الى جلب الحبوب من الخارج ولذلك ترى ان اسعار الحبوب في العراق عرضة للزيادة والنقصان بسرعة كبيرة وبصورة دائمة . اما الحبوب التي يصدرها العراق فهي الحنطة والشعير والأرز والدخان والذرة والسمسم والباقلاء الخ ...

والخيول التي تصدر من العراق الى سوريا وفلسطين وتركيا والهند ولبنان ومصر تعد من اجود الخيول اما بقية الحيوانات فيصدر منها اليها الابل والبغال والغنم والماعز والبقر والجاموس

ولا شك ان العراق كان حتى نشوب الحرب الحالية يسير سيراً حثيثاً نحو ايجاد توازن بين قيمة الواردات والصادرات بفضل سهر الحكومة الوطنية واتباعها السياسة الحكيمة ورائدها ازدهار العراق وانماء ثروته الوطنية . ولم تنثن الحرب الحكومة عن بذل الجهد لبلوغ هذا الهدف فهي تتحين الفرص دوماً للاستفادة من ظروف الحرب وما يبديه حلفاؤها لها من معونة لتدعيم

مراكز العراق التجاري وذلك رغم تسلط اليهود على التجارة ومحاولتهم التفرد بمنافعها والاستقلال بجر المغانم الى انفسهم وقلما حادثنا تاجراً وطنياً الا وشكى هذا التسلط وعجب من سكوت الحكومة عن تسرب اليهود وجماعات كثيرة ومن مختلف الجنسيات الى مدن العراق . ويظهر ان الانقلاب الاخير في العراق وما تلاه من ضعف الجهاز الحكومي الوطني قد جرأهم على هـذا التسلل وحدا بهم الى التغلغل في صفوف التجار العراقيين ينفثون فيها من اساليب مكرهم وخداعهم ما يجعل العراقيين عاجزين عن مقابلتهم بالمثل وتكون النتيجة ان يفوز اللاجئون بالغنم ويذرون وراءهم سجاً طويلاً من الاضطراب والتقلقل الاقتصادي

القضية اللبنانية في الرافديه

وشاء حسن حظنا — قبل ان نبارح بغداد — ان نجتمع الى العالم الفاضل والمربي القدير ، الاستاذ فاضل الجمالي ، الذي اضطلع بمهام مديرية المعارف العراقية فترة من الزمن لمع فيها نجمه واسدى الى وطنه خدمات جليلة . ولقد عرفه اللبنانيون يوم هبط ديارهم موفداً لانتقاء عدد عديد من المعلمين والمعلمات وهو بعد من الذين جنت عليهم وطنيتهم ، وما اكثر هؤلاء في الشرق عامة ، وفي العراق خاصة

ورحب المضيف بنا وجرى حديثه عن لبنان ونهضته ، فافترصها الشيخ بطرس وادلى دلوه وقال يا بشرى هذا موضوع خطر ، وراح يشرح وجهة نظر لبنان في قضية الاتحاد واعتصم بلبنانيته لا يحيد عنها ولا يميل ، فكان السيد فاضل يحاوره ويداوره ويقول له ان البـلاد العربية قاطبة لا يسرها

اكثر من ان ترى لبنان مستقلاً بحدوده ، واستقلاله هذا هو الذي يجعل له حق التحالف مع جيرانه ، والا فكيف يطلب من بلد غير مستقل ان يرتبط بعهود ومواثيق مع بلاد مستقلة ؟ . ولو فرض وتمّ ذلك ، اذاً لكان الارتباط من الوجهة الدولية ناقصاً . وزاد السيد فاضل بان تدعيم دول الشرق دولة دولة ، ومن ثم ايجاد سلك رابط بينها لافضل بكثير من ضمها بعضها الى البعض الاخر وبين كل واحدة منها وبين الاخرى من الفوارق الثقافية ، والاقتصادية ، والوضعية ، ما يجعل ارتباطها المباشر اضعافاً لها . وكان السيد فاضل في حديثه واقعياً اكثر منه عاطفياً وكان يتحدث بلسان العالم المدقق لا الوطني المتعصب فحسب . وفي العراق كثيرون من جهابذته وكبار ساسته يفهمون القضية اللبنانية كما يفهمها السيد فاضل ويصفون لبنان بما يجب ابناؤه ان يوصف به ويعلمون عنه وعن شؤونه كما نعلم اذا لم يكن اكثر مما نعلم .

والذين لا يعلمون تراهم يقبلون على الاستماع الى الحديث عن لبنان بشغف . ولقد كان لزيارة الوفد اللبناني وعلى رأسه دولة الزعيم رياض بك اكبر الاثر واحسنه في تعريف وجه لبنان الحقيقي وكما ان دولته ومن معه قد خلبوا لب المصريين بما اظهروه من لباقة وكياسة وحسن تصرف فقد مثلوا في العراق دور اللبنانيين الحاذقين احسن تمثيل . ولمسنا نحن اثر الزيارة في نفوس العراقيين فآلينا على انفسنا ان لا نتوانى عن الدعوة الى الاكثار من الزوار تمكيناً للتحابب وتدعيماً للصداقة وليس مثلهما انفع لتقريب وجهات النظر وبناء أسس الاتحاد المنشود

السكك الحديدية والمواصلات

وفي مساء الخميس السادس من نيسان تركنا بغداد وركبنا في الساعة

السادسة والنصف قطار البصرة وشهدنا وداع الوفد الرسمي على المحطة الفخمة وكان وداعاً حاراً صميما شهده كبار رجال الدولة العراقية وصفوة من ابناء العراق الميامين ورافق الوفد ممثل العراق في سوريا ولبنان السيد تحسين قدري والضابط الشهم السيد سليمان الراوي . وكانت العربة الخاصة التي الحقت بالقطار للوفد أنيقة جداً

والسكك الحديدية في العراق هي ملك للحكومة العراقية انتقلت ادارتها اليها في سنة ١٩٢٤ بصورة رسمية ولم يبق لغيرها حق شرعي فيها

وتتبع السكك الحديدية وزارة المواصلات ووزيرها هو المسؤول تجاه مجلس الوزراء عن الامور المتعلقة بها كافة اما ادارة السكك فقد عهد بها الى مدير السكك وموظفيه بينهم رؤساء الهندسة المدنية والهندسة الميكانيكية وادارة النقل وادارة المحاسبات والمخازن وكلهم اختصاصيون . اما السواد الاعظم من الموظفين فهم عراقيون وقد تم تدريبهم على الاعمال المتنوعة واسفر التدريب عن نتائج طيبة

ان شبكة السكك الحديدية في العراق تتألف في الوقت الحاضر من ثلاثة اقسام رئيسية وهي (١) القسم الذي يربط ميناء المعقل (البصرة) ببغداد مع خطوطه الفرعية الممتدة من مفرق الشعيبة الى الشعيبة ومن مفرق اور الى الناصرية ومن مفرق الهندية الى كربلاء . و (٢) القسم الذي يوصل بغداد بكركوك مع خط فرعي من قره خان الى خانقين التي تبعد ١٥ كيلو متراً من الحدود الايرانية و (٣) القسم العريض الذي يربط بغداد بالموصل فتل كوجك في الجانب الغربي من نهر دجلة متجهاً الى الشمال

ويبلغ طول السكك الحديدية الموجودة الآن الفاً ومايتين وعشرين كيلومتراً أطولها قسم البصرة بغداد ويبلغ خمس مئة وتسعة وستين كيلو متراً

يقطعها القطار بزهاء خمس عشرة ساعة . وتبذل ادارة السكك الحديدية مساعي كبيرة لانماء حركة الزوار وجذب السياح

وثمة مصلحة موحدة للنقل بالسكك الحديدية والسيارات تربط البصرة بمصلحة مقطورات النوم التابعة لقطارات سمبلون ـ اوريانت السريعة وذلك في محطة تل كوجك ومنها الى المدن الاوربية والبريطانية وبالعكس وتستعمل في هذه المصلحة سيارات راقية وعربات طعام منتظمة كما ان تسهيلات النوم متوفرة فيها وفي الموصل منزل استراحة كامل التجهيزات معد لهذه المصلحة

ان طريق السكك الحديدية العراقية هو أسرع طريق للسفر المنتظم من الشرق الادنى واوروبا الى ايران

وقد اعدت السكك الحديدية العراقية منازل استراحة لفائدة السياح الذين يقفون في سفراتهم لزيارة الاماكن الاثرية ويقابل هؤلاء في محطات الدخول والخروج من قبل موظفين اكفاء للمساعدة والارشاد . والطريق بين بغداد والبصرة تقطع بمدة قدرها خمس عشرة ساعة ونصف الساعة والقسم الذي يلي بغداد منها عامر بالمزارع والبساتين مكتظ بالاشجار ملىء باغراس العنب والبرتقال والفستق وغيرها . وفيما عدا هذا القسم تقسو الصحراء على المسافرين فتثير من غبارها الناعم (الطوز) ما تضيق به الانفاس وتحشرج به الحلاقيم . ويداهمك الطوز وانت في القطار من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وليست تجدي مع هجومه اية احتياطات ، فاذا احكمت اقفال النوافذ سدت في وجهك ابواب الهواء واذا فتحتها تسرب الطوز وبدت عليك اعراض الاختناق

وقضينا ليل الجمعة وسط الصحراء القاسية وافقنا صباح الجمعة لننفض عن جسومنا ما علق بها من طبقات الطوز ولنفتر بعد قليل بالسراب فيراهن

بعضنا البعض الاخر على انه ماء. ونظل نعلل النفس برؤية الماء بعد ذلك الجدب الطويل والقطار ينساب بسرعة البرق الى ان نيأس ونذكر ان السراب سراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا ورده لم يجده شيئاً

في البصرة

وفي الساعة العاشرة صباحاً وصلنا الى محطة البصرة ، وهي اشبه بمدينة منها بمحطة ، وقد اصطفت فيها شرذمة من الجند مع متصرف اللواء ومدير الشرطة وكبار الموظفين والاعيان لتحية الوفد اللبناني ، ولما استقر بالقطار المقام ، نزل دولة الرئيس الزعيم وصحبه ، فلقوا وجوهاً مستبشرة وايادي ممدودة ، واستعرض دولته الجنود واحداً واحداً وقصد الى فندق شط العرب المشهور . ورغبنا نحن ان نقصد اليه ففاوضنا ادارته بالهاتف من المحطة ولكننا رجعنا بصفقة المغبون فهذا النزل ، يتسامى عن ان يستقبل الطارق لمجرد طلبه ، فهو ابداً مليء بالنزلاء من كبار ضباط الحكومة والحليفة ، ولا بد للراغب من ان يعلن للادارة عن قدومه اليه قبل اسبوع على الاقل

وكانت قد سبقتنا الى البصرة اشارة هاتفية من راعينا الجليل السيد احمد الراوي ، فهرع الينا معاون مدير الشرطة السيد عبد القادر وسهل لنا نقل الحوائج والامتعة وتدبير السيارة وركبنا وركب معنا الى حيث نجد نزلاً نرتاح فيه ، وبعد مشقة وجدنا نزل الفيحاء . ويعد الشارع الطويل الذي اجتزناه من المحطة الى النزل من افخم الشوارع الحديثة سواء أكان من جهة عرضه وارصفته واستقامته او من جهة زينته والاشجار على جانبيه

والبصرة مدينة ذات ثلاثة فروع اولها المعقل وهو الذي يحيط بالمحطة ويشمل الميناء وثانيها العشار وهو المحاذي لشط العرب وثالثها البصرة غربي

العشار ويشمل البصرة القديمة التي تغنى بها الشعراء. وكانت فيما سلف اكبر مركز لنشر الفلسفة والادب والشعر واكبر مدرسة شرقية لتخريج الفلاسفة والادباء والشعراء. وتقع البصرة على شط العرب (ملتقى نهري دجلة والفرات) على خمسة وثمانين ميلاً او مئة وستة وثلاثين كيلو متراً من الخليج الفارسي. والبصرة القديمة بنيت في ربيع سنة ٦٣٧ ميلادية في محاذاة قرية الزبير حيث لا تزال الخرائب تنبيء عن عظمة هذه المدينة.

والعشار مركز تجاري عظيم، يشمل البيوتات التجارية الوطنية والاجنبية ويؤمه التجار من كل حدب وصوب، وقد بذلت الحكومة العراقية في تجميله وتنسيقه جهوداً بارزة، واحدثت على الشاطىء شارعاً (كورنيش) جميلاً جللته بالاشجار الباسقة وغرست فيه من الحدائق ما يبهج النظر ويسر الخاطر، ورغم هذا الجهد المستمر لا تزال الناحية الصحية في البصرة في حاجة الى عنايه اكبر، بالنظر لوفرة الداخلين والخارجين والكثرة المستنقعات التي تنهك الاجسام بما تولده من حشرات وما تنشره من ملاريا مخيفة، تضطر السكان الى ادمان الشراب، ليخففوا عن انفسهم — على حد قولهم — وطأة هذا الداء.

ميناء البصرة

ووجدنا في البصرة، كما وجدنا في بغداد، نهضة حكومية جديرة بالذكر. فدار الضيافة في شارع الكورنيش (العشار) حيث تزل جلالة فيصل الثاني في السنة الحالية تعد من اجمل تحف الفن الحديث، والمدرسة الثانوية هي ايضاً قطعة نفيسة اوحى بها الفن المعماري. وبيت المتصرف الذي بنته الحكومة على الشط وجهزته بافخر الرياش خليق بالاعجاب. والسجن والمستشفى

ودور الحكومة كل ذلك ينم عن رغبة اكيدة في توفير وسائل العمران وبالتالي راحة الشعب وطمأنينته . وميناء البصرة ، كما شاهدته ، يعد اليوم اعظم ميناء شرقي على الاطلاق ، وقد اعتراه من التحسين والتنظيم بعد الحرب الكبرى الماضية ما يثير الاعجاب والدهشة ، وقد كان هذا الميناء تابعاً بادارته حتى تشرين الثاني سنة ١٩٢١ ، حينما نصبت الحكومة العراقية الموقتة ، الى السلطة العسكرية الانكليزية ، ومنذ ذاك استلمته وزارة التجارة العراقية ، ولما الغيت هذه في تموز سنة ١٩٢٢ الحق بوزارة المالية . ثم ان الاتفاقية المالية المعقودة مع معاهدة سنة ١٩٢٢ والتي ابرمت سنة ١٩٢٤ نصت على ان يكون هذا الميناء وحدة مستقلة بادارته وموازنته وهو اليوم ملك للحكومة العراقية ولكن عليها للحكومة الانكليزية ديناً توفيه اقساطاً . وقد استهلك معظم هذا الدين الذي بلغ في الاساس نصف مليون ليرة استرلينية . والميناء اليوم مجهز بارصفة واسعة جداً تقوم عليها الآلات الرافعة الكهربائية والبخارية ، وآلات اخرى حديثة ومدت اليه فروع من الخط الحديدي الرئيسي وانشئت الابنية والمستودعات والمكاتب الكبرى لاعمال الجمرك المتنوعة وبنيت دار رئيسية للاعمال الادارية قال لي عنها احد الضباط الانكليز انها تفوق بزخرفها وأثاثها ومعداتها اعظم الدور البحرية في اية مدينة من مدن اوربا .

وتملك دائرة الميناء مراكب جميلة جداً للمراقبة والمطاردة ولتعزيل الاحواض والمجاري ، ولديها ايضاً عدد من الزوارق البخارية السريعة جداً . والكراكات والمواعين والصنادل ، وبواخر الانقاذ والعوامات ، وبواخر للمساحة والغوص .

ويتبع الميناء فندق شط العرب ، ومهما غالى الواصفون في وصف جماله

وزخرفه فهم لا شك مقصرون . وقد بني هذا الفندق في سنة ١٩٣٦ وكلف بناؤه زهاء مليون دينـــار ونصف المليون ويحتوي على خمس وسبعين غرفة مؤثثة بافخم الرياش . عدا الصالات وغرف الاجتماع . والفندق مجاور للمطار الكبير وفيه يحل الطيارون الكبار وقد اتخذت في الفندق جميع الاحتياطات لتأمين راحتهم بعد انتهاء عملهم المضني . وتحيط بالفندق حدائق غناء على اجمل نظام وابدع ترتيب ، وانتشرت فيها المقاعد والمقصورات تطل على النهر وتواجه الميناء العظيم . والخدمة ممتازة وان كانت مرهقة للجيوب . ويغريك جو الفندق ، وما ومن فيه ، بالبذخ والانفاق بلا حساب ، ولبذخك وانفاقك فيه اجر .. !

ومعظم ما كان يرد على ميناء البصرة من البضائع قبـــل الحرب من بريطانيا فالمانيا ففرنسا فايطاليا فاميركا فالهند واليابان . وتعد مواد البناء في طليعة الواردات بالنظر للنهضة العمرانية الجبارة التي سبق الحديث عنها في بغداد والمدن الاخرى الكبرى . ويأتي الشاي والسكر في الدرجة الثانية واهل العراق كغيرهم من سكان البلاد الحارة المجاورة مولعون بشرب الشاي وهم يتفننون في صنعه وتحضيره وبعـــد الشاى والسكر الخشب والترابة الافرنجية والماكنات . اما الصادرات فاهمها التمور والشعير والحبوب الاخرى والجلود والصوف والقطن والخيول والتبغ .

وتقدر مساحة لواء البصرة الذي يتألف من مدينة البصرة وقضائين وسبع نواح باحد عشر الف كيلو متر مربع . ويحده من الشرق الحد الفاصل ما بين الحدود العراقية والايرانية الممتد على محاذاة نواحي السيبة وشط العرب والسويب ، ومن الجنوب الحد الفاصل بين الاراضي الكويتية والعراق الذي يبتدىء من مياه الخليج الفارسي في منتهى الساحل الجنوبي لناحية الفاو متعقباً

الساحل حتى يقطع خور عبدالله ويتجه الى الغرب في محاذاة (النقطة) منتهياً بسفوان ، ثم يغير اتجاهه حتى اراضي هليبة في البادية الجنوبية . ويحده من الغرب الخط الفاصل بين لوائي البصرة والناصرية الذي يدخل في ضمنه منطقتا البادية والهور وهو يحاذي ناحية الزبير ، ويحده من الشمال الحد الفاصل بين لوائي العمارة والبصرة الذي يبتدىء في ضفة دجلة اليسرى وينتهي بالحدود العراقية الايرانية في بركة جاي ومن ضفة دجلة اليمنى قاطعاً مياه الهور منتهياً بالحد الفاصل ما بين البصره والناصريه .

ويبلغ مجموع نفوس هذا اللواء ثلاث مئة الف نسمة يصيب مدينة البصرة منهم مئة وعشرة آلاف وذلك عدا افراد القبائل المتجولة . وهذه القبائل عربية تبلغ الستين عداً . ولها انساب تتصل بربيعه ومازن وتميم وكعب وغيرها . وانك كيفما تجولت في البصرة ترى خليطاً عجيباً من السكان بينهم العراقي والسعودي والعجمي والهندي والكردي والصابئي والارمني ، وفي المواسم ترى الاجانب من كل لون وجنس ودين .

آثار البصرة

وفي البصرة من الآثار ما لا يتسنى معه الحصر ، فقد شاهدنا مساجد ومراقد مقدسة قديمة واكثرها يعود اصلها الى صدر الاسلام حين وقعت حادثة الجمل الشهيرة ، ومن المراقد التي لا تزال قائمة حتى الآن مرقد الزبير وطلحة وهما على بعد نصف ساعة بالسيارة من مدينة البصرة شرقاً وعلى ضريحيهما قبة شاهقة ومأذنة موشاة بالقيشاني البديع وعلى بعد نحو ستة اميال من شمالي الزبير مرقد أنس ابن مالك تعلوه قبة شهيرة فخمة . ومرقد سليمان بن علي الهاشمي الواقع بالقرب من نهر كوت الزين . ووجدنا بالقرب من

البصرة الحالية اطلال مدينة البصرة القديمة ومن ابرز آثارها الجامع ومنارته التاريخية وكثيراً ما يعثر المنقبون حوالي هذه المدينة على احجار يعود اصلها الى العهد الكلداني والبابلي .

ومما يلاحظ في البصرة انها تضيق بساكنيها ، ولا عجب في ذلك فهي كمدينة تجارية وزراعية وكميناء عظيم تستهوي الناس وتغريهم بالسكنى فيها . وفي البصرة كما في بغداد وغيرها ازمة حادة في المساكن وتكاد الاجور تتساوى ان لم تزد عن الاجور في سوريا ولبنان . وقد تنبهت الحكومة العراقية الى هذا الامر في سنة ١٩٤٣ فاصدرت قانوناً بعدم امكان زيادة بدلات الاجارة عن مستواها في تلك السنة . اما المتاجر فلم يشملها القانون وتركت حرة ولذلك تسمع عن ارقام يكاد لا يصدقها العقل . وقد ادى عدم ربط التأجير بقانون حتى سنة ١٩٤٣ الى بلوغ البدلات حداً عالياً حقاً .

صلة الوصل بين العرب والعجم

وفي يوم السبت الثامن من نيسان وجهنا اهتمامنا الى تدبير زورق بخاري سريع نجتاز به شط العرب الى الفاو آخر حدود العراق عند الخليج الفارسي والمسافة سبعة وستون ميلاً ذهاباً ومثلها اياباً . ووجدنا ضالتنا بهمة مدير الشرطه القائد الكبير السيد قاسم محمد الذي عرفنا فيه خلقاً كريماً وهمة قعساء وحنكة عسكرية وادارية جديرة بالاعجاب . كما عرفنا بمعاونه النشيط القائد عبد الكريم الظاهر آل سبع الادب الجم والغيرة الشرقية المشهورة . وتحدثنا فيما بيننا عن هذه النخبة الممتازة التي انيطت بها شؤون الشرطة في العراق فادركنا سر امتياز هذه المصلحة وبلوغها درجة قصوى في التنظيم والاعتبار .

وفي الساعة الحادية عشرة من اصيل ذلك اليوم ركبنا الزورق من العشار لنستمتع لاول مرة ، وليس لآخر مرة ان شاء الله ، بمفاتن شط العرب ومغانيه ، هذا الشط الذي يخترق لواء البصرة حاملاً مياه الفراتين ، والذي يعد من اعظم انهار العالم ، تواكبه عن يمينه وشماله جنائن الاثمار وغياض الاشجار وغابات النخيل فتكسبه حلة بهية رائعة وتتفرع منه جداول كبيرة تنوف على الست مئة وخمسين جدولا عدا النهيرات الصغيرة التي تعد بالآلاف فتؤلف شبكة تجري خلال عروقها المياه العذبة عند ارتفاع منسوب شط العرب بواسطة المد الذي يرتفع مرتين يومياً ، وقد اكسبت الجداول والنهيرات اراضي البصرة قوة انباتية غريبة كما جعلتها من احسن المصايد البرية والبحرية . اما الصيد البري فيكثر منه الريم والعفراء (غزال المسك) والغزال والارانب والخنازير والحباري والدراج ، وتعيش هذه الانواع في برية شاسعة تبعد عن مدينة البصرة بمسافة تتراوح بين عشرين الى خمسة وعشرين كيلومتراً . وتكثر في الصيد المائي الطيور المائية كالبط والاوز والحمر والخضيري وغيرها . ولواء البصرة اهم لواء في العراق من حيث كثرة اسماكه وتعدد انواعها الغريبة بحرية كانت او نهرية . وثمة نوع منه يسمى الزبيدي وهو بحري يصطاد من صدر الخليج الفارسي عند الفاو ويسمون لك انواعاً اخرى كثيرة قل ان تلتقطها وتحفظها واعية لغرابة النطق بها . ويتفنن العراقيون في بيوتهم وفنادقهم في طهي لحوم الاسماك ولكن ما يدعونه المسقوف ، وهو شي السمك بعد قطع السمكة الكبيرة الى قسمين متساويين هو ألذ ما ذقنا وأكلنا .

وقد قال فيه ابن الرومي وكان قد اجتمع هو والبحتري في مجلس سليم بن الحسين بن مخلد ووصف هذا المجلس بقوله :

واختار من احسن السقوف لها افضلهـا قيمة وعرعرها

ويسمون السمك الكبير بالشبوط وفيه قال ابن الرومي ايضاً :

فـلا يبعد الشبوط من متلبس ظهارتـه الحسنى ، ومن متجرد
اذا نش في سفوده عند نضجه واخـرج من سربالة المتورد
فتيّ رعى مرعى بدجلة مخصبا ابى ان يراه رائـد غير محمد
الى ان اصابته من الدهر نوبة وقد صار اقصى منية المتجود
فاصدره الصياد عن خـير مورد واورده الشوّاء اخبث مورد
وجاء به الحمـال اطيب مطعم الى الطيب المنفاق غير المصرّد
ويا حبذا امعاننا فيـه ناضجاً كما جاء من تنوره المتوقـد
واني لمشتاق الى عـود مثله وان كنت ابدي صفحة المتجلد

وبعد مسيرة ساعتين في الشط اطل علينا قصر الامير خزعل في المحمرة من مقاطعة الغالية على الضفة اليسرى من شط العرب وهي اول حدود ايران منه . والقصر اليوم مشغول من الجيش البريطاني . وتمتد في جانب هذا القصر جنوباً وعلى مسافات جد متقاربة عدة قصور اخرى . وتواجهها في الضفة اليمنى ، في الاراضي العراقية بيوت وقصور شتى لكبار المزارعين والملاكين . وبعد مسيرة بضعة اميال يقوم ميناء خورمشاه وبينه وبين الفاو آخر حدود العراق اربعة واربعون ميلاً وقد بذل الاميركيون في هذا الميناء جهوداً خارقة ليصبح صالحاً لرسو السفن الكبيرة التي تحمل البضـائع والمعدات من العراق والعجم واليهما . وقد شـاهدنا في الميناء اربع بواخر متوسطة الحجوم اي من العشرة آلاف طن فما دون وهي ترفع العلم الاميركي وقد تبينا منها جون سبنسر ووليم برد . وكانت تفرغ مشحوناتها على الارصفة (الصقالات) رأساً في العنابر والمستودعات القريبة ويحوم من حولها عشرات من البواخر الصغيرة والقوارب

والصنادل والنقالات والعوامات الضخمة التي لم نرَ مثلها في اي ميناء شرقي آخر . ولاحظنا عن بعد طرقات المدينة المعبدة ومنازل موظفي الشركات المتناسقة . كما ادهشنا النهر الذي يصب في آخر الميناء آتياً من العجم وهو نهر قارون وعلى ضفتيه الابنية الجميلة والبواخر الصغيرة الانيقة ويقوم في الشاطيء الجنوبي من هذا النهر قصر البحرية الايرانية الذي تقطنه السلطة الانكليزية وشاهدنا في حديقته تمثالا من البرونز للشاه السابق رضا شاه بهلوي .

وبعد اجتياز مسافة ثلاث ساعات اي في الساعة الثانية تماماً ظهرت علينا من بعد شاسع مداخن لولبية عالية جداً قال النوتي انها مداخن معامل التكرير في عبادان وقبل وصولنا الى هذه المدينة ببضعة عشر كيلومتراً تصاعدت الى انوفنا روائح كريهة علمنا انها روائح من النفط .

وبعد اربع ساعات وربع تماماً دخلنا ميناء عبادان العظيم الذي ما زال ينمو ويتسع حتى ليأخذك العجب من كثرة ما فيه من البواخر الكبيرة والمتوسطة والصغيرة . وكنا قبل ان نصل اليه نشاهد سحب الدخان تتعالى وتتشابك فتحجب نور الشمس حيناً ثم تتضاءل وفي اعقابها سحب اخرى ، ورأينا الطيارات تحوم باستمرار فوق المعامل تحرسها وترعاها ، ولحظنا حركة نشيطة في ارصفة الميناء والشوارع والطرقات يشتغل فيها الوف العمال وتصطف على الارصفة العشرة ناقلات الزيوت وقد مدت اليها الخراطيم تفرغ فيها ما في بطون المعامل ويقدرون ما يشحن من زيوت عبادان المختلفة بثمانية ملايين من الاطنان سنوياً . ووجدنا في الميناء حوضاً عائماً جافاً لاصلاح السفن يخص الشركة الانكليزية الايرانية للزيوت .

ونزلنا الى اليابسة مأخوذين بعظمة الصناعة الحديثة التي يرتكز عليها

محور هذا الحرب فكدنا نختنق من رائحة النفط . وكنا منذ مغادرتنا لبنان نفتقد القرميد الاحمر الذي يغطي سطوح المنازل والقصور فلم نجده الا في عبادان ؛ فوق بيوتها الانيقة ، وخصوصاً بيوت الشركة الانكليزية الايرانية التي خصص قسم منها لعمال الشركة وموظفيها ومدرائها والقسم الآخر للادارات العامة . واتضح لنا ان الشركة قد اتخذت كل الاحتياطات لتأمين راحة العمال والموظفين فخصتهم بسيارات للنقل ومحطات للاستراحة ، وذهبيات في الشط كمقاهي واخرى كمستشفيات .

ولما رأينا انه لا يتسنى لنا بلوغ الفاو كما كان قصدنا ، الا بعد قطع اربع ساعات اخرى ؛ فقد آثرنا الرجوع من عبادان ورجعنا فعلاً وكانت خيوط الشمس الذهبية قد توارت وراء باسقات النخيل لتفسح لنور القمر مجال الاختيال في الفضاء الرحيب ، وسار الزورق بنا سراعاً على هدي نور القمر ونحن مأخوذين بجلال المناظر الخلابة عن يميننا وشمالنا ، مفتونين بالامواج التي اخذت تتراقص من شدة الهواء فتتراقص معها انوار الكهرباء من البواخر ومن الدور على الشاطئين وظلال النخيل في الماء تتمايل بقدودها المياسة فتؤنسنا في وحشتنا وتأخذ بالبابنا فلا نطيق لها فراقاً . والمنائر تبعث من حين الى حين بانوارها الكشافة لتهدينا سواء السبيل . وبعد سفر ناعم خلال خمس ساعات اطل الزورق على البصرة في الساعة التاسعة مساء وهي بانوارها الساطعة كانها شعلة من لهب . وبعد ان تجولنا في شوارع البصرة المنيرة آوينا الى اسرتنا فقضينا ليلاً هادئاً وأفقنا ونحن ما زلنا نتحدث بلذة رحلتنا في الشط .

وفي يوم الاحد التاسع من نيسان زرنا قرية الزبير وتهدكنا بمقام الزبير وعتبة وطلحة . ونعمنا بعد الظهر بساعة في منزل مدير الشرطة الهمام .

لقد كان للبصرة في التاريخ شأن كبير ، واصلتها الوثقى بالمجد العربي لا يستكثر فيها القول ، بل هي خليقة بان تكون موضوع دراسات مختلفة ، نستنبط منها دروساً وعبراً ، تكون لنا عوناً وهادياً .

وللتمييز بين ما كانت عليه البصرة وما آلت اليه ، رأيت ان اقدم للقراء فصلاً من كتاب « حضارة الاسلام في دار السلام » تغني مطالعته عن تحليله وشرحه . قال المؤلف :

« ولقد ظننت البصرة لاول وهلة انها ليست بالمفرطة الكبر ، فلما طفت في ساحاتها وتجولت في ارياضها ومحلاتها ، بدا لي انهـا متسعة البقعة كثيرة العمران ، فقل ان يكون بها موضع غفلا من العمارة ، خلواً من السكان ومبانيها على الغالب من اللبن ، الا ما كان من المسجد الجامع فانه مبني من الصخر والجص على اتم احكام وابدع صناعة ، واول من بناه عتبة بن غزوان واقامه من القصباء لاجل ان ينزعه متى شاء ثم يعيد اقامته . فلما جاء ابوموسى الاشعري بناه باللبن وطلى جداره بالاصباغ ثم قام زياد فزاد فيه واقام السقيفة التي في مقدمه وحمل اليه عمـده من الاهواز . وبناه بالجص والحجر . ثم لم تزل به عناية الولاة بعده الى ان وسعت اوقافه وصار علم البصرة واقيم فيـه قاض يفرض النفقات ويحكم في مئتي درهم وعشرين ديناراً فما دونها تخفيفاً عن الدواوين التي لا تحكم الا في القضايا المهمة »

« ثم سرت من هذا الجامع الى مسجد علي عليه السلام ، وهو مفروش صحنه بالحصباء الحمراء وله اوقاف جزيلة مما وقف له الفرس ومن يقول بخلافة اهل البيت من العرب ، وهم يطرقونه ويتبركون بزاره ، كأن وعيـد ابي جعفر لم يجد منهم نفوساً راجعة الى غرضه فيما اوجد من الفرقة بين العلويـة والعباسية . ووجدت في بعض مقاصيره مصحفاً عليه اثر دابغ مثـل الدم

الجاف يقال انه القرآن الذي كان يقرأ فيه عثمان لما قتل . وبعد ان قضيت زيارته المباركة تجولت في اسواق المدينة فرأيت التجارة فيها على اروج ما يكون ، ولا غرو فان البصرة هي فرضة العراق والشام وخراسان وما اليها من الديار العالية مما يكسبها حسن الموقع بحيث لا يصدر شيء من هذه البلدان ولا يرد اليها الا من البصرة ولذلك استفحل فيها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع الى ان صارت واسطة العرب ومنتهى الشرق وقبة الاسلام

« ومما يذكر عن بنائها فيما حدثني الهيثم اميرها ، ان المسلمين افتقروا في اول امرهم الى منزل ينزلون به ؛ واذا دهمهم عدو لجأوا اليه واعتصموا به ، فبعث عمر رضي الله عنه ، عتبة بن غزوان ، واوعز اليه ان ارتد لنا موضعاً في جهة العراق قريباً من المرعى والماء والمحتطب ، فجاءه من البصرة اني وجدت ارضاً كثيرة القَضَّة في طرف البر الى الريف ودونها منافع . فيها ماء وفيها قصباء ، فكتب اليه عمر ان ينزلها بمن معه ، فوقع تمصيرها في السنة الخامسة عشرة لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم . ولما جلست الى الخليل العالم الامثل ودار بيننا الحديث على اخبار الاسلام الاول اخبرني ان البصرة انما اختطها العرب نكاية للفرس لتحويل التجارة من سواحلهم اليها وذلك لما صالت منهم الاجناد واتسعت لهم الاجناد رأوا ان يستولوا على زمام التجارة ، فبنوا هذه المدينة فرضة للعراق والمشرق كله ، ففشت فيها العمارة ، وغصت بالناس على ما رحبت ارجاؤها . يقال ان كان فيها من مقاتلة العرب لايام زياد ثمانون الفاً ، واخبرني الهيثم ان اهلها يبلغون اليوم خمس مئة الف من الرجال بدليل المال الذي فرقه فيهم ابو جعفر ، وكان الف الف درهم ما اصاب الرأس منهم الا درهمين ليس غير » .

« وتبعد البصرة عن عبادان حيث الشاطيء نحو ساعة زمانية ، وعندها

تختلط مياه دجلة والفرات وتصب في البحر الملح بعد ان تفقد عذوبتها لان المد يأتي الى فوق البصرة باميال فاذا امتزج به ماء دجلة صار ملحاً . ولقد يخال الرائي لاول وقوع المد ان البلاد صارت غديراً كما وقع لحمزة بن عبدالله امير البصرة لعهد ابن الزبير وقد ركب يوما الى الغيض ، فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفتهم هذه ، فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازراً فقال قد رأيته ذات يوم فظننت ان ان يكفيهم فقال له الاحنف بن قيس . ايها الامير : ان هذا الماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود فخجل ، وعاب الشعراء ذلك عليه فيما تناشدوا من الابيات »

ولقد تصفحت في البصرة كثيراً من قصورها المشرقة واستقريت اماكنها المشهورة بما وعيت عنها من الانباء واحسن ما استظرفت منها قصر لمحمد بن سليمان الهاشمي وهو اوفر بني العباس مالا واعطاهم لشاعر نوالا وغلة ضياعه في كل يوم مئة الف درهم . وقد بناه على بعض الانهار واستفرغ في زينته جهده واتخذ في جنانه المهى والغزلان والنعام وانواع السباع ، والطيور المغردة ، فجمع فيه محاسن الحضارة والبداوة وفيه يقول الشاعر :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت او بادي
ترقى به السفن والظلمات حاضرة والضب والنون والملاح والحادي

واما القصور التي بقيت بعد اربابها فانها لكثير في البصرة شاهدت منها قصراً لاوس ابن ثعلبة الذي ولي العراق وخراسان لايام الامويين وهو قريب من المربد ، وعليه قباب مرفوعة يغض الجو بها صعوداً ومن حوله خمائل رائعة كأن الايام لا تزيدها الا خضرة وقد اجاد ابن ابي عيينه في وصفها بقوله :

بغرس كابكار الجواري وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
فياطيب ذاك القصر قصراً ونزهة ويافيح سهل غير وعر ولا ضنك

وشاهدت قصراً للاحنف بن قيس وداراً لانس ابن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وايواناً للزبير ابن العوام وآخر لعبيد الله ابن زياد ويسمى البيضاء. والناس يدخلونه لرؤية زينته والى مقربة منه مجلس ابن زياد وفيه خطب خطبته البتراء المشهورة التي اخذت بقلوب البصريين » .

العودة الي بغداد

وركبنا في الساعة السادسة والنصف مساء قطار بغداد غير عالمين بما خبأته لنا الصحراء من مفاجئات . ولما جن الليل ، وكان الجو حاراً نصح العارفون منا باقفال النوافذ خشية الاختناق من « الطوز » ولكن الرئيس بطرس أبى واستكبر، وهو صاحب الهمة القعساء ، ان يلوي عنانه للطوز ، فأصر على فتح النوافذ وكان لا بد لنا ان نمتثل والامتثال خير من الادب .

وأبت الصحراء العاتية ان تساير الشيخ كما سايرناه وأبت الا ان تفصح عن عظمتها وخلودها فسلطت علينا من غبارها ما قهر نفوسنا وبدل وجوهنا واثقل جسومنا . وما احلانا حين افقنا ونحن ننظر بعضنا الى بعض كالمشدوهين وما راء كمن سمعا . والواقع اننا قد لقينا من سفرنا هذا نصبا . ولم يفرج عنا بعض ما عانيناه من وطأة التراب الا المشاهد الضاحكة الفتانة التي كانت تمر على انظارنا سراعاً فتأخذ بالالباب ؛ وبقدر ما هي الصحراء قاحلة ماحلة جدباء فالقسم القريب من بغداد على العكس من ذلك ، خصب منبت بهيج وبضدها تتميز الاشياء .

وفي « حضارة الاسلام » عن صحراء البصرة وما ومن فيها فصل وصفي ممتع حقا ظللت منذ قرأته في حداثتي ، استشهد به فيما اكتب عن العراق ومجده ويراه القارىء فيما يلي :

« ووجدت صحراء البصرة وعرة مرملة ، لا يغرد عليها طير ولا ينبت فيها شجر غير النخيل لفقدان الماء فيها . انما خيرات البصرة تردها من الأُبُلّة وهي عامرة بالناس خصبة الجناب كريمة البقعة يشقها جدول من دجلة ولا تخرق اشعة الشمس ارضها لالتفاف شجرها بعضه على بعض . وفي مرساها مجتمع كثير من مراكب الهند والصين لان الربح فيها واسع لاهل التجارة . واما النخيل المتصل فيما بينها فالبصرة فاعلى الصحراء فانه كسب وافر للناس يقال ان ثمنه يعدل ما يحمل الى بيت المال من كافة الاقاليم .

والى ما وراء المربد في ظاهر البصرة عربان من عامر وقيس عيلان ، كنت اجلس الى مشيخة حيهم وأبيت في منازلهم وآكل من ثريدهم واشرب من البان نوقهم ، واجلس على الوبر والانطاع وأعي احاديثهم باقبال واستمتاع واشهد حلقات القصاص فيما يذكرون من اخبارهم وايامهم فوجدتهم يتفاخرون بتأليف الخطب وقول الشعر والسيف والضيف ، ولا يهنأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . وعلمت من اخبارهم انهم لا يأتون الفحشاء ، بل يعاقبون الزناة بالقتل . ولا يباشرون من النساء الا من حلت لهم من اهلها ، حتى لقد يكرهون تزويج اثنين قد انتشرت اخبارهما بالمحبة .

وذكر هؤلاء القصاص ان جميلاً لما سأله خلانه ان ما عملت مع بثينة طول هذه الايام ، قال كنت امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها ولم امد اليها يداً غير مرة واحدة وقد اخذت يدها ورفعتها الى صدري حتى تشعر بخفقان قلبي . وهذا مما يدل على نبل الهمة وعفاف النفس .

وقد بقي في خاطري ذكر رقيق عذب لاجتماعي بهؤلاء العربان ، وقد طاب لي الجلوس الى قيس عيلان اكثر منه الى بني عامر ، لاني وجدت فيهم بياناً وفصاحة ، غير انهم لم يلبثوا في البصرة

الا قليلاً ثم شالت نعامتهم وزف رآلهم ، فرحت اتوجه الى منازل عامر وعرفت بالمقام بينهم كثيراً من محامد العرب الموصوفة . وقد اعظمت رواج الادب بينهم والكتابة مفقودة عندهم حتى انهم ليجرون على قواعد اللغة في اشعارهم ومحاوراتهم بما ليس بالامكان اصح منه ولهم في كلامهم من الامثال الحكمية مما لا نجده في كثير من امم العلم والحضارة . وهم اصح ابدانا اذ ان الرياضة الجسدية موجودة في البادية غير مفقودة ؛ وطعامهم اللبن واللحم والتمر مما لا يجعل الى سقم المعدة سبيلاً . والظعن كفيل لهم بطيب الرياح التي لا تخبث الا مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات . واكثرهم من صلابة الجسم وخفته حيث يلحق الخيل والحمر الوحشية عدواً . ولقد سمعت من يحدث عن تأبط شراً انه كان اذا جاع نظر في السهل الى الظباء فانتقى لنفسه اسمنها ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه .

ووجدتهم يوفون بالقول من غير ان يكتبوا العهود . ويأخذون بثأرهم اخذاً شديداً ينشأ فيهم من بُعدهم عن القضاء ، لانهم لو كانوا يعانون الاحكام لفسد البأس فيهم وذهبت المنعة منهم . ووجدتهم يضيفون نزلاءهم ضيافة يوجبونها على نفوسهم ولو كان النزلاء قتلة آبائهم . وكنت اسمع عن كرمهم احاديث لم اتلقاها من جانب الثقة ، فلما نزلت بجوارهم تحققتها بالمشاهدة والاختبار . ووجدت ان كلهم كريم حتى لقد يكون السخاء تسعة فيهم وواحداً بالناس ومن زعم ان حاتم الطائي اكرم العرب فقد ظلمهم جميعاً . وظني باخذهم في هذه الضيافة الواجبة انه امر طبيعي عندهم لان الراحل منهم قد يُفوَز في الفلوات اياماً طوالا على جهد من الجوع والعطش ، فاذا انتهى الى خباء مضروب ورآه اهله بمكانه من المشقة

واللغوب ، أقروه وعلفوا مطيته واستوقدوا له ناراً يصطلي بها من كاب البعد كما يقولون ، حتى اذا اصابهم في مسيرهم مثل هذا الجهد والعناء تلقاهم الناس على السعة من الضيافة .

وكان ينتهي بهم الكرم الى ان يقوم لقبائلهم مناد في الاسواق ينادي بالناس هل من جائع فنطعمه او خائف فنؤمنه او راحل فنحمله وهذا احسن ما يكون من محاسن النفس الشريفة . وهذه المحامد كلها قد كانت فيهم منذ ازمان الجاهلية ، ثم كان لهم في مناقضتها امور لا تطاق ، فلما نزل القرآن روّض منهم الاخلاق وصرف عنهم المكروه من العادات ، والا فان رجال الجاهلية قد كانوا يتزوجون بنساء آبائهم ويألفون غير ذلك من الخشونة التي ذهبت بمجيء الاسلام بالهدى ودين الحق » .

ولشرفنا على محطة بغداد في الساعة العاشرة من صباح الاثنين انقضي في بغداد يوما او بعض يوم ، نودع الاصحاب والخلان الذين أنسونا مرارة الفراق ، فراق لبنان العزيز ، وجعلونا نشعر ان للفراق احيانا حلاوة دسمة وان حلاوة الفراق في العراق .

ولقد ايقنا وآمنا بان وحدة اللغة ، اذا صرفنا النظر عن بقية الوحدات رابطة قوية تؤلف بين القلوب وتجعل بين شعوبها مودة ورحمة وستة ايام في بغداد ونصفها في البصرة ومثلها في الطريق احيت فينا عاطفة الشعور بالتماسك الذي يربط الاخ باخيه والجار بجاره دون ان يكون هذا التماسك سببا في انتقاص حق احد من الفريقين او داعيا الى جرح الكرامة او طعن العزة ! !

ودعينا في ذلك اليوم من قبل وزارة المعارف ومديرية التربية البدنية الى حضور مباراة الشأو بين طلاب الجامعة الاميركية في بيروت وطلاب المدارس الثانوية في العراق ، وجرت المباراة في ساحة الكشاف وهناك علمنا

ان طلاب لبنان قد لقوا من الحفاوة والتكريم ما جعلهم يشعرون حقا انهم ليسوا في ارض الرافدين غرباء .

اثر زيارة الوفد اللبناني

وجدير بالذكر ان صحافة العراق ظلت طيلة عشرة ايام ، تخصص القسم الاكبر من صفحاتها للتحدث عن وفد لبنان الرسمي وعن البعثة الرياضية ويديج رؤساء تحريرها المقالات الضافية عن اثر لبنان في نهضة العرب ومقامه الاسمى في حقل الوطنية . ولقد كان لحوادث تشرين الماضي تأثير كبير في الكشف عن وجه لبنان الحقيقي وفي اعتزاز البلدان العربية قاطبة بوثبته التي قطعت قول العاذلين والمغرضين ، ونفت ما كان اثاره هؤلاء من شكوك حول صلابة لبنان الوطنية ونزعته العربية . اجل لقد عاد اسم لبنان يهز المشاعر ويحرك النفوس كما كان يهزها ويحركها قبل ربع جيل وكما سيظل باذن الله .

من بغداد الى الموصل

وتركنا بغداد في الساعة الثامنة والنصف مساء بقطار الشرق السريع ووجهتنا الموصل ، ولكن بغداد تركت في نفوسنا اثراً لا يمحى وذكرى لا تنقطع .

وفي الطريق لاحظنا تأخر نمو القمح وقصر السنابل واغتنمنا فرصة مرورنا بمحطتي القطارة والشورة وهما على مسافة ٣٧٠ كيلومتراً من بغداد وقبل الموصل بساعة فسألنا عن سبب هذا التأخر فقالوا قلة المطر ولكن ما

هطل في التاسع من نيسان قد احيا الامل وبشر الزراع وانقذ الموسم وافاده فائدة جلى لا تقدر بثمن .

وفي حمام العليل « وما احلى هذا الاسم » وهي المحطة الاخيرة قبل الموصل كنا نفلت من قيود الرقابه الشديدة والتعليمات الصارمة والنصائح القاسية التي كان يغدقها بحساب احيانا وبغير حساب احيانا اخرى رفيقنا بل مدير رحلتنا السيد حسين السجعان ، كنا نفلت من تلك القيود لنشاهد جمال الحقول والجبال محيطة بها تزيدها بهجة وجمالا ونتذكر ونقارن ـ مع الفارق ـ بين هذه السهول الفسيحة الرحبة وبين سهول البقاع المشابهة لها من حيث التقطيع وتعدد الالوان واستواء الجبال قائمة عليها من كل نواحيها . وكان النسيم العليل البارد يهب علينا من تلك الجبال فينعش نفوسنا بعد ذلك الجو الحار في صحراء البصرة وبغداد . ومن المحقق ان جودة المناخ هي سبب هذا التناقض بين القرى الجميلة النظيفة الراقية في سهول الموصل وضواحيها وبين مثيلاتها المنحطة في الصحاري الاخرى . ولقد قدرنا ان مناخ الديار الموصلية والجبال المحيطة بها يشابه مناخ لبنان وقد كانت درجة الحرارة في الساعة السادسة صباحاً عشرة في ميزان سانتغراد بينما كانت تكون في البصرة ٢٥ . وكانت الدرجة ترتفع ظهراً فتصل الى ١٢—١٥ بينما كانت تصل في البصرة وبغداد ٣٠—٣٢ .

الموصل

وفي الساعة الثامنة من صباح الثلثاء الحادي عشر من نيسان ظهرت لنا عن بعد مدينة الموصل بمآذنها الشامخة وقباب جوامعها الكبرى وبعد نصف ساعة وقف القطار في محطتها الكبيرة المكتظة بالابنية المخصصة للموظفين

وللسياح . ولفتت انظارنا مأذنة عالية جداً فيها انحناء فاستقلينا سيارة نطوف بها ارجاء الموصل وندرس مواقعها الاثرية .

جاء في كتاب مختصر البلدان ان سبب تسميتها بالموصل هو انها وصلت بين الجزيرة والشام . ويقال لانها وصلت بين الفرات ودجلة . وقد ورد في كتاب مسالك الممالك انها مدينة على غربي دجلة صحيحة التربة والهواء .

وفي كتاب مختصر البلدان ان اول من اختط الموصل واسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي . وبعد الفتح الاسلامي عمرت ، حيث اخذت القبائل العربية تهاجر اليها وتستوطنها وكانت اول قبيلة اتتها الخزرج واصلها من يثرب اسلمت قبل الهجرة واظهرت في الفتوحات الاسلامية شجاعة عظيمة . ولما اقبل خالد بن الوليد على فتح العراق ارسل قسما من قبائل الخزرج الى فتح الموصل فسكنوا فيها ثم عمروا لهم مسجداً وهو اول مسجد في الاسلام بني في الموصل . ومن ثم تعاقبت القبائل على الموصل فورد عليها الازد وتميم وتغلب وقيس وربيعة وأسامة وثعلب وخزاعة وغيرهم فاتسعت وكثر عمرانها في عهد الخلفاء الراشدين .

ويتألف لواء الموصل حالياً من مركزه مدينة الموصل ومن تسعة اقضية وثلاث وعشرين ناحية وتقدر مساحته ب (١٤٥٦٠) ميلاً مربعاً ونفوسه بمايتين وخمسين الفاً ما عدا قسم من القبائل الرحل .

اما حدوده فمن الشمال الحد الفاصل بين تركيا والعراق والمعروف بخط بروكسل الوهمي ومن الشرق قضاء اربيل وقسم من لواء كركوك . ومن الجنوب لواء الدليم وقسم من لواء بغداد . ومن الغرب الحد الفاصل بين سوريا والعراق . وتروي مزارع لواء الموصل وبساتينه العظيمة انهار كثيرة منها ما يصب في دجلة ومنها ما يرضع منها . واهم الانهار التي تسقي اللواء

بعد دجلة هي : الزاب الكبير والخوصل والخابور وغيرها ويعتمد اكثر الزراع على الامطار لانها منتظمة الهطول .

واهم حاصلات الموصل الحنطة والشعير والارز والعدس والحمص والماش وانواع كثيرة من الفواكه والخضراوات ومستغلات الاحراج والغابات . وتقطن لواء الموصل عشائر كثيرة ، يرد ذكرها مراراً في الصحف والكتب والمسامرات واهمها شمر والجبور والمعامرة والحديديون والحمدون والعقيدات وأعنزة وعزة .

والحقيقة التي لا ريب فيها ان السائح في العراق يجد في الموصل متعة ولذة عظيمتين فهو اينما حل يجد راحة وسلوى من الطبيعة الخلابة ومن عناية الحكومة بتنظيم وسائط النقل . ويجد فيها الرياض النضرة تكسوها الازهار والجنان الغضة تجري من تحتها الانهار ، غدرانها صافية الزلال واشجارها وارفة الظلال .

وكأن الله سبحانه شاء ان لا يحرم المتضجر من حرّ البصرة وبغداد من هواء يتبرد به ، وان لا يدعه يفارق الصحراء القاسية قبل ان يتمتع بالجو الجميل الناعم فخلق في الجبال الشمالية سهولا وبطاحاً زينها بنجاد وجبال ومتعها بجمال طبيعي ومناظر رائعة ومياه عذبة ، ويسر فيها الصيد . فالوعل والغزال والارنب والحجل وغيرها موجودة بكثرة .

ولقد شاهدنا على بعد قليل من الموصل جبالا شاهقة مكسوة بالثلوج وغنية باشجار الجوز واللوز والسنديان والكمثري والتفاح والحور والصفصاف حتى والصنوبر وتتخللها خضرة رائعة . ويبلغ تعداد اشجار الغابات في الموصل بالف وخمسمئة مليون شجرة وفي اربيل ثلاث مئة مليون وفي السليمانية مئة وثلاثين مليوناً .

وقد علمنا ان الحكومة العراقية عمدت الى تعبيد كثير من الطرقات الى اعلى الجبال كما شجعت تأسيس المآوي والفنادق، وكان لجلالة المرحوم العاهل الكبير فيصل الاول فضل السبق في هذا التشجيع .

ويمتد فصل الاصطياف في منطقة الموصل التي يكثر فيها الصيد من بدء الربيع حتى بدء الشتاء بفضل تعدد اماكنها واختلاف درجات علوها . وليست الجبال في الموصل باقل اهمية تاريخية وأثرية من المدينة نفسها ففي كل مرحلة أثر من آثار الغابرين من حثيين واشوريين وفرس وعرب وترك .

آثار الموصل

وتعد الموصل من اكثر الالوية العراقية آثاراً تاريخية ، وكانت الموصل عدا ذلك شهرة ادبية وعلمية لم يبزها فيها قطر من الاقطار العربية كافة فمنها تخرج كبار الكتاب والشعراء وفطاحل العلماء والفقهاء . ومما لا ريب فيه ان لجودة مناخها وموقعها الجغرافي فضل هذا التخريج . وتنبؤك آثار الموصل التي لا تزال قائمة حتى اليوم عما وصلت اليه هذه البقعة الطيبة فيما سلف من الايام من مجد وسؤدد جديرين بالتأمل حريين بالاعتبار .

وكان هدفنا الاول لما دخلنا المدينة ان نزور عن قرب المأذنة المائلة الحدباء التي اطلقت على الموصل صفة الحدباء بسببها . فوجدناها منتصبة من الجامع النوري او الجامع الكبير وهو من اقدم الجوامع في الموصل بعد الجامع الاموي وقد حافظ على معالمه التاريخية رغم مرور العصور الطويلة . ويقع هذا الجامع في وسط المدينة وقد سميت المحلة القائم فيها باسمه وقد ذكر ابن الاثير في « الكامل » ان نورالدين محمود الاتابكي امر بعمارة الجامع النوري المبحوث عنه وركب هو بنفسه الى موضعه وصعد منارة

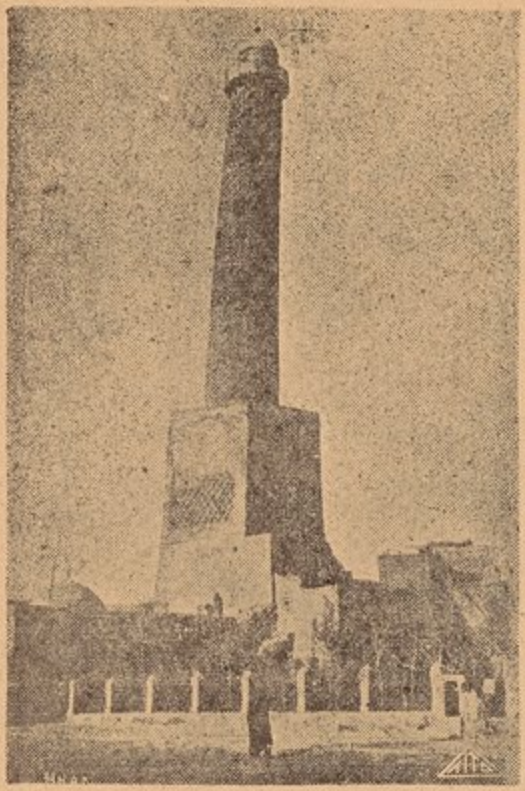

مسجد ابي حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر ان يضاف الى الارض التي شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يؤخذ منها شيء بغير اختيار اصحابه وولى الشيخ محمد الملاء عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من اصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه اموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ٥٦٨ هجرية .

ويروي ابن خلكان ان نور الدين هذا لما وصل الى الموصل كان فيها خربة متوسطة البلد واسعة وقد اشاعوا عنها ما ينفر القلوب وقالوا ما شرع في عمارتها الامن ذهب عمره ولم يتم امره فاشار عليه الشيخ الزاهد معين الدولة عمر الملاء بابتناء الخربة وبنى بها جامعاً وانفق فيها اموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل .

ويحتوي هذا الجامع ، كما رأيناه ، على فناء كبير جداً ، وفي الزاوية الشمالية الغربية منه المئذنة الاثرية المعروفة بالموصل باسم الحدباء او الطويلة

وهي تعد من اثمن الآثار الاسلامية القديمة بنقوشها وطراز بنائها وقد شيدت حين عمر الجامع ويبلغ ارتفاعها مع قاعدتها اثنين وخمسين متراً . وقاعدتها مربعة ، في كل وجه من وجوهها نقوش هندسية ناتئة بديعة الشكل حاصلة من وضع الآجر في اوضاع معينة مختلفة تختلف عن الوجه الآخر . غير ان هذه النقوش قد اعتراها بعض التلف اثناء ترميمها . اما نفس المئذنة فستديرة يبلغ قطرها عند القاعدة نيفاً وثلاثة امتار وينقص قطرها تدريجياً حتى يبلغ عند منتهاها مترين . وللمئذنة ثلاثة مطالع لا تلتقي الا في نهايتها . اما شرفتها فكانت قد تصدعت فازالت دائرة الاوقاف جدارها واستبدلته بسياج حديدي لكي يخف الثقل عن المئذنة وكان ذلك سنة ١٩٢٥ .

وفي الجنوب الغربي من الفناء تقع التكية القادرية والمكتبة وقد انشئتا سنة ١٢٩٩ هجرية . وترى امام المصلى قسما منخفضاً وعلى حافته محراب من المرمر الازرق ذو نقوش بديعة تدل على صنعة دقيقة وفن راق ويحيط بالمحراب في باطنه كتابة آيات قرآنية وهي : « يسم الله الرحمن الرحيم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم » ويلاحظ ان المؤثرات الطبيعية قد اتلفت بعض النقوش المهمة من هذا المحراب الاثري ولعل الحكومة العراقية النشيطة تعير هذه الاثار جانباً من اهتمامها فتحفظها من البلى فتحفظ بذلك اجل تراث ينطق بعظمة المجد العربي والفكر العربي .

وفي جنوب الفناء يقع المصلى الذي تعلو وسطه تقريباً قبة مخروطية الشكل يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً مشيدة بالآجر والكلس غير ان الترميمات التي ادخلت عليها مؤخراً قد سترت بنايتها الاصلية بطبقة من الجص .

وعند مدخل المصلى اروقة يبلغ عددها التسعة وطولها يربو على الخمسين متراً وقد حجز في الجهة اليمنى من المصلى قسم منه بحواجز من المرمر خصص لصلاة النساء ويلي مصلى النساء محراب من المرمر يرجع تاريخه الى سنة ٥٤٣ هجرية كما هو مكتوب في داخله . ومما قرأناه منقوشاً في باطن المحراب : بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر ولم يخش الا الله . والمؤسف ان ثمة كتابات اخرى قد طمست معالمها وعسرت قراءتها .

ويلي هذا المحراب محراب آخر .

وعلى يمين المحراب الكبير الواقع في وسط المصلى منبر للخطابة مصنوع من المرمر ويظهر انه حديث الصنع .

ومن الآثار المشهورة ايضاً والتي هي مدعاة للهم والغم اطلال المسجد الجامع او الجامع الاموي التي لم يبق منها سوى بقايا المئذنة المعروفة اليوم بمنارة الكوازين . وتقع هذه المئذنة في محلة رأس الكور في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة . وسبب تسميتها بمنارة الكوازين ان معامل الخزف كانت تحيط بها . وقد جاء في كتاب البلدان : قيل ان اول من اختط الموصل واسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي وبنى بها المسجد الجامع ثم بنى سعيد بن عبد الملك سورها .

ولما استولى الامويون على الموصل وسعوا الجامع واضافوا عليه بعض المباني . ويظهران المقبرة العامة التي نشاهد اليوم مقابلة للجامع والمنارة من جهة الجنوب كانت من عرصة الجامع القديم اما المرتفعات البارزة في المقبرة فبقايا انقاض ابنية كانت قد تداعت وتراكمت بعضها فوق بعض وحصلت منها هذه المرتفعات . ويرجح ان تكون هذه الابنية جزءاً من ابنية الجامع المذكور

ويبلغ ما بقي من المئذنة اليوم عشرة امتار وقد زالت معظم نقوشها فلم يبق منها الا القليل .

وفي الموصل غير ما ذكرت آثار كثيرة منها جامع النبي جرجيس والنبي يونس ومرقد الامام عبد الرحمن ومرقد ومسجد اولاد الحسن ومرقد علي الهادي ومدرسة الطغرائي والمدرسة الزينبية الخ . ولكل من هذه الاثار تاريخ طويل عجيب يتصل بعهود الازدهار والعمران . وقد عنى السيد احمد الصوفي المدرس في وزارة المعارف العراقية بتدوين اخبار هذه الاثار في كتاب طبعه سنة ١٩٤٠ فله الاجر والثواب .

اما الآثار الحديثة فقد رأينا منها في الموصل جسرها العظيم القائم على دجلة والذي تم بناؤه وافتتح من قبل جلالة المرحوم الملك غازي في ١٠ حزيران ١٩٣٤ ميلادية او ١٣٥٣ هجرية وطوله الف وثلاث مئة قدم وكلف بناؤه ستون الفاً من الدنانير . والجسر ضخم واسع اقيمت على جانبيه ارصفة للمارة ليكون سير السيارات ووسائط النقل الاخرى في وسطه حراً سهلاً .

الصحة والحركة الطبية في العراق

ورأينا ايضاً المستشفى الملكي الكبير في ظاهر المدينة القائم على رابية عالية والمشرف على اجمل سهول الموصل والجبال المحيطة بها . ولقد ذكرنا هذا المستشفى والمستوصفات الاخرى في المدينة بفقدان المستشفيات الحكومية في لبنان مع شدة حاجته اليها . خصوصاً في المدن الصغيرة والقرى البعيدة وفي المناطق التي تقضي طبيعة تربتها وارضها بانشاء مستشفيات

يأوي اليها الفقراء المساكين الذين تقتلهم العلة قبل ان يصلوا الى مستشفيات بيروت اذا وجدوا فيها مأوى لامثالهم وحز بنا الالم حينما تذكرنا ان المرضى بداء السحايا الوبيل كانوا ينقلون من صيدا وغيرها الى بيروت وهم ينقلون العدوى معهم الى حيث مستقرهم مع ان الحكومات المتعاقبة في لبنان كان في وسعها ان تنشيء في كل قرية ودسكرة مستشفى لوفرة عدد الاطباء الذين تخرجهم جامعات بيروت كل سنة ولا يجدون لهم عملاً الا ارتياد المقاهي ودور اللهو او ابتكار الحيل والاساليب لابتزاز المال عن غير الطرق المشروعة . وبينما تجد الاقطار الشقيقة في سبيل تأمين الصحة العامة وتنفق على بناء المؤسسات الصحية بلا حساب نجد الحكومة اللبنانية ما زالت متكلة على المستشفيات والمؤسسات الاجنبية وعلى قليل من المستوصفات الاهلية غير عالمة ان الفقراء وذوي الحاجة لا يجدون في هذه المؤسسات العناية التي يرجونها ولا المعالجة التي يبرأون معها لان المال في نظر هذه المستشفيات قيمته ووزنه ولان الجاه والحسب تأثيرهما وسحرهما . وفي ارباح اليانصيب الوطني وواردات مشروع الغرش وغيرها ما يكفي لايجاد عدة مستشفيات رسمية تغني الحكومة والناس شر التسكع على ابواب المؤسسات الاجنبية حيث يعفرون الوجوه ويبذلون ماء الحياة دون جدوى . واعلم ما يثير أشد النفوس قساوة عن حوادث قضى فيها المرضى نحبهم واهلهم يراجعون الدوائر الرسمية للدخول الى احد المستشفيات دون ان يتمكنوا من اثارة اية عاطفة او ان يجدوا اي ملجأ لا لسبب سوى انهم فقراء . وثمة حوادث اخرى عن مرضى اهملت العناية بهم في مستشفيات غير مستشفيات حكومتهم فعز شفاؤهم فطرحوا في الطرقات العامة وهم في حالة الاحتضار . والامل وطيد في ان حكومة الرئيس الزعيم

رياض الصلح التي لا تستهدف غير رضى الشعب ورفاهية الشعب ومستقبل الشعب سوف لا تضن على البلاد بمستشفيات ومستوصفات رسمية هي من اعظم دعائم الاستقلال .

لقد اصبح في البلاد اللبنانية من الاطباء الاختصاصيين في كل ضرب من ضروب الطب عدد لا يستهان به ويعد من مفاخر لبنان وكثير من هؤلاء قد ضربوا احسن الامثلة بما اقاموه من مستشفيات خاصة اصبحت تضاهي باستعدادها الآلي وبنظافتها واتقانها واستعدادها احسن المستشفيات الاخرى الاجنبية وارقاها . فما ضر لو استعانت الحكومة بهؤلاء لايجاد مستشفيات رسمية تكون للبلاد دروعاً تقيها فتك الامراض وترد عنها كيد الاوبئة ؟ واستعانت بهم ايضاً لتأسيس كلية للطب كما فعلت دمشق وكما فعلت القاهرة وكما فعلت بغداد .

وكلية الطب الملكية في بغداد التي اسست سنة ١٩٢٧ قائمة في بناية خاصة فخمة بجوار المستشفى الملكي ، تحتوي على قاعتين للمحاضرات وعدة مخابر للفيزيك والكيمياء وعلم الحياة والفسيولوجيا وعلم الامراض والبكتريا وعلى قاعة خاصة للتشريح ومتحف لعلم الحياة وآخر لعلم الامراض ومكتبة ومخزن للكيمياء ، وكل هذه المخابر والمتاحف مجهزة تجهيزاً تاماً كاحدث المخابر الطبية ولا سيما متحف علم الامراض فهو مجموعة فريدة للامراض عامة والعراقية منها خاصة . وتجري التطبيقات العملية في المستشفى الملكي حيث مجال العمل واسع وحيث جميع قاعاته ومخابره وغرف عملياته مجهزة بما هو ضروري للقيام بهذه المهمة .

وهناك معاهد اخرى غير المستشفى كالمختبر المركزي ومعهد باستور وداء الكلب ومعهد اشعة رونتجن ومستشفى العزل وغيرها . وكل منها قد

هيء للقيام بالتطبيقات العملية .

اما مستوصف العيادة الخارجية الذي يؤمه ما لا يقل عن الف مريض يومياً فهو بجميع اقسامه من رمدية وزهرية وجلدية مفتوح لطلاب الكلية لاجراء تطبيقاتهم العملية فيه .

ولقد وافقت لجنة الاختبارات للكلية الملكية للاطباء والكلية الملكية للجراحين في انكلترا على قبول خريجي الكلية في الامتحانات للحصول على شهادات الاختصاص بنفس الشروط المطلوبة من خريجي الكليات الطبية الانكليزية وقد عممت الحكومة العراقية المستشفيات والمستوصفات والمختبرات الى جانب الكلية الطبية وكلية الصيدلة ومدرسة الموظفين الصحيين والممرضات ومعهد تدريب القوابل ، واحدثت في كل لواء عدداً منها ففي لواء بغداد يبلغ هذا العدد الاربعين وفي البصرة السبعة عشر وفي الموصل الثلاثين ويتراوح هذا العدد بين القلة والكثرة حسب احتياج كل لواء .

الحدائق العامة

ورأينا وتمتعنا بالموصل بالحديقة الحديثة الكبرى القائمة عند الطرف الشرقي لجسر غازي وقدرنا مساحتها بخمسة اضعاف مساحة حديقة البلدية في محلة الصنايع في بيروت وقد نسقت هذه الحديقة وفاقاً لرسم غاية في الابداع وقسمت على نمط بهيج يسر الناظرين . وشطرت الى جزئين احدهما خصص للرجال والآخر للنساء والاطفال وغرست على جوانبها الاشجار المزهرة وحبكت اقسامها المتعددة بالكازون الاخضر الريان تتوسطه ازهار

متنوعة ، وكل ما في الحديقة يدل على عناية فائقة وذوق سليم .

وزرنا في الموصل مواطننا النشيط الطبيب السيد عبد الستار الجبال وله فيها عيادة خاصة . فحدثنا عن مروءة الموصليين وكرمهم وحفاوتهم بالغريب ما حقق ما كنا نسمعه من هذا القبيل . وسألناه عن هـذا الاهتمام بحديقة الموصل الكبرى فروى لنا ان في الموصل حدائق اخرى غيرها لا تقل عنها اتقانا وان قلت مساحةً . ولما كنا من الذين لا نرضى لاي بلد ان يكون احسن من لبناننا فقد اظهرنا عجبنا من تلكؤ بلديات لبنان عن تعميم الحدائق رغم ازدياد عدد السكان المطرد في انحاء لبنان كافة واشتداد الحاجة بالتالي الى حدائق يروح فيها العانون والمتعبون عن نفوسهم ويجد فيها الاطفال متعة وسلوى لهم . كما يجد فيها اولاد الازقة مسرحاً مريحاً بدلا من انتشارهم في الاسواق والطرقات يزعجون الناس بسؤالهم ويقلقونهم بسرقاتهم ويؤذونهم بقذارتهم .

ان من حق اللبنانيين ان يلحفوا بطلب الاكثار من الحدائق في مدنهم وقرى اصطيافهم ليأمن اولادهم غائلة الالتجاء الى الحانات والمواخير وليجتنبوا كبائر الاثم ما ظهر منها وما بطن . ولقد عرفت دول العالم قاطبة ما لهذه الحدائق من نفع فاغدقت الاموال في سبيلها والاكثار منها ولا شك ان هذه الحدائق وسيلة من وسائل تهذيب الشعب والترفيه عنه .

ولقد بلغت الشكوى في لبنان من مضايقة الشحاذين والباعة المتجولين حداً لا يصح معه السكوت عن هذه الآفة الضارة بهذه الطبقة ضرراً بليغاً والملحقة بلبنان عاراً كبيراً . تجول انى شئت في المدن والقرى تجد هؤلاء الحفـاة العراة ، السقيمي الاجسام والكريهي المنظر يسدون في وجهك المنافذ ويتحيلون للفوز بغرش لا يعلم الا الله ما يكون مصيره ، فاذا آنسوا

من الناس اعراضاً راحوا يتفننون في اساليب النشل والسرقة وارتكاب احط المآثم والموبقات .

ولقد تنبهت الحكومة العراقية منذ زمن بعيد الى هذه المفاسد فحرمت الشحاذة بقانون ومنعت الباعة المتجولين من الجلوس في اي محل كان في الطريق العامة وحتى الوقوف على الارصفة ومزاحمة المارين ومن يخالف منهم يساق الى المحكمة .

ولكن حكومة العراق لم تكتف بهذا المنع وهذا التحظير بل اوجدت الى جانب ذلك داراً للعجزة من الجنسين وشددت على موظفي الانضباط والتنظيفات كافة عدم اعطاء المجال للشحاذة وارسال من يتسول الى دار العجزة وتقديم تقرير بذلك الى امين العاصمة . ولا يسمح باخراج متسول مالم يقدم كفالة ثابتة مزكاة يقبلها امين العاصمة ويتعهد فيها الكفيل بعدم عودة المكفول الى التسول وباعاشته واقامته .

والى جانب دور العجزة اكثرت الحكومة من الحدائق ليلجأ اليها هؤلاء مع غيرهم وليجدوا فيها مطهراً لنفوسهم وليقتدوا بسيرتهم بغيرهم من رواد الحدائق من ابناء العائلات المحترمة لان للمحيط تأثيره في النفوس .

ولقد تحققنا بانفسنا ما للحدائق من نفع بما شاهدناه من اقبال الاهلين عليها من كل الطبقات اقبالا عظيما .

بين الموصل وحلب

واحببنا قبل ان نغادر الموصل ان نتذوق لحمها المشهور مشويا فقصدنا شواء معروفاً هدانا اليه سائق سيارتنا فتلذذنا فعلا ودهشنا من شي اللحم على

المروحة الكهربائية بدل النفخ بالفم او بالمنفخ . وبعد ان تزودنا بحاجتنا من من السماء غادرنا الموصل في الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً فوصلنا في الساعة الثالثة تماماً الى تل كوجك وهي في منتصف الطريق بين بغداد وحلب والمسافة بين بغداد وحلب الف وخمسون كيلومتراً .

وفي الساعة الثامنة مساء وقفنا في نصيبين وهي اول حدود تركيا وقد ادهشنا ما لمحناه من خصب الاراضي بين تل كوجك ونصيبين وكثرة المواشي . وادهشنا اكثر من ذلك صلف الموظفين الاتراك وقساوتهم مع الركاب .

ويجدر بي ان لا امرّ بحديث الاراضي العراقية واراضي الجزيرة دون ان ابدي العجب من قعود اللبنانيين المشهورين بنزعتهم الاستثمارية والتجارية والمعروفين بحذقهم فنون الزراعة واستنبات الصخر الاصم والارض الجرداء ، عن الهجرة الى اراضي الجزيرة وما بين النهرين لاستغلال تلك الاراضي التي تدر عليهم الرزق الوفير والخير الجزيل بدلا من الهجرة الى ديار الغرب التي عز فيها الارتزاق وضاق النطاق . والعراقيون كما قالوا وكما صرحوا يرحبون بكل يد عربية تمتد لاحياء المساحات الواسعة من اراضيهم الغنية ويؤهلون بكل شركة عربية تستخرج الكنوز المطمورة وهم لا يضنون بما يملكون في سبيل اسعاد اخوانهم وتسهيل سبل العمل لهم .

ان الحرب مهما طالت سوف تنحسر عن رغبة ملحة في احياء المشاريع الكبرى ليعوض بها البشر بعض ما فقدوه ابان سني المحنة ، والتقدم الصناعي والآلي كفيل بانجاح تلك المشاريع . وسوف يكون للتعاون اسمى مقام في عالم التجارة وعالم الصناعة وغيرها من العوالم بعد ان برهنت الحرب على استحالة الظفر بلا تعاون وتساند ولذلك يرجى ان يفكر ابناء لبنان في

المستقبل القريب فيعدوا للمشاريع الكبرى عدتها ويأخذوا لها اهبتها ليستقيم لهم استقلالهم ولتتوفر لهم حياة هنيئة وعيشاً رغداً كما يرجي ان يولوا وجوههم شطر بلاد كلها خير وبركة وكل من فيها تواق الى التعاون والتساند ويد الله مع الجماعة .

وفي الساعة الثامنة من صباح الاربعاء الثاني عشر من نيسان وصلنا الى شوبان باي (بك) وهي آخر الحدود التركية التي قطعنا معظمها ليلاً .

وفي الساعة الثانية عشر ظهراً تركنا أختين وهي نقطة الجمرك السورية فوجدنا اخالق العظيم الذي يسر لتلك الاراضي الشاسعة مياهاً وانهاراً لتروبها فتدر الخيرات وتكون منبع رزق وثروة للناس ، ولكن الناس يهملونها طائعين وينبذون نعمة هم في اشد الحاجة اليها . وتساءلنا عن حق فيما عسى ان تفعله الحكومتان السورية واللبنانية – وما عسى ان تتذرعا به من وسائل لاستدرار هذه الخيرات التي تعينهما في المستقبل على مواجهة غدرات الزمان بقلب مطمئن وعزم شديد .

وتحدثنا فيما تحدثنا عما اذا كانت الحكومات الشرقية العربية تنسج على منوال الحكومات الغربية في الاهتمام بمشاريع لما بعد الحرب كي لا تفاجأ بالاحداث والمشكلات المتنوعة فلا تستطيع لها حلاً ولا تملك لضبطها شيئاً ، وعما اذا كانت هذه الحكومات قد فكرت بالاستئناس بالدروس التي تهيأ عند الحلفاء وعند بعض الاقطار الشقيقة للمستقبل المجهول الذي سيحمل ولا شك مفاجآت لا يصمد معها الا الراسخون في الاستعداد والتنظيم .

وماذا يضير سوريا ولبنان ، وبينهما من المصالح المشتركة المتشابكة والمنافع المتبادلة ، ما يربطهما برباط وثيق ، ان يتعاونا على الاستعداد للعمل حين تدق الساعة كي لا يؤخذا على حين غرة فيفلت الزمام من ايديهما

ويطل الحاذق برأسه متهكما ليستلم الزمام . وقد استعذنا من الشيطان حينما مرت هذه الفكرة في خواطرنا ولجأنا الى التفاؤل نروح عن نفوسنا ما خالجنا من الاضطراب ، وقلنا ان بلاداً اسندت قيادتها الى رجال اكفاء ما علمت عليهم من سوء ولا بدرت منهم بادرة تدعو الى الشك في اخلاصهم وحبهم ، ليس عليها ان تجزع او تهلع وليس عليها الا ان تذكر والذكرى نافعة والله من وراء القصد .

وواصلنا السفر الى حلب يحدونا الشوق الى تسقط اخبار لبنان منها ، والحوادث في لبنان تتوالى سراعاً خصوصاً أثر حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ وارتاحت نفوسنا حين قفزنا من القطار الى المحطة وعلمنا ان كل شيء هادىء في لبنان ، وانه وان كان لبنان لا يخشى مكروهاً والزعيم الرئيس فيه ، فقد تهيبت الاحداث سطوة الزعيم وغضبة الزعيم هذه المرة فلم تنل لبنان بسوء في غيابه ويقظة الزعيم كفيلة برد الاذى عن لبنان المحروس باذن الله .

وعجبنا في حلب من فقد السيارات في محطتها الكبرى ، ولعل لوفرة الشعير وقلة المطاط يد في ذلك . ووفرة الشعير لم تحل في حلب دون ارتفاع اجور العربات ، وقد كانت هذه المسألة موضوع مناقشة بين مدير رحلتنا وبين الحوذيين امتدت الى موسم الشعير ونفقات زرعه ونقله ، والى الاسطبلات واجورها وانتهت بخروج مديرنا الفذ ظافراً من هذه المعركة الكلامية التي كادت تخرجه عن حلمه لولا لطف الله .

وفي حلب نهضة بلدية لا بأس بها ، تتمشى معها نهضة اجتماعية خليقة بالتسجيل . ففي حلب نواد خاصة وعامة يأوي الناس اليها من كل الطبقات وفي حلب كورنيش جميل ولكنه قليل العرض مع انه شق في الاراضي الفضاء وكان بالامكان توسيعه الى اقصى حد مستطاع بلا كثير نفقات . وفي حلب

ملعب حديث جاء برداً وسلاماً على قلوب الحلبيين المتأججة بحب الرياضة والحكومة السورية تقتفي اثر الحكومات الراقية في تشجيع الرياضة ، قدر استطاعتها ، وقد خصصت في مشروع السنوات الخمس مبلغ ثلاثة ملايين ليرة لبناء ملاعب في حلب وغيرها من المدن كما ادخلت في موازنة العام الحالي مبلغ مئة الف ليرة للانفاق على حركتي الرياضة والكشفية .

ومع ان المسجلة اسماؤهم في مدينة حلب يقلون عن الاربع مئة الف ، فان المقيمين فيها فعلاً لا يقلون عن هذا العدد .

اما موازنة بلدية حلب فثلاثة ملايين ونصف مليون من الليرات ويبدو ان بلدية حلب تنفق على تجميل المدينة القسم الاعظم من هذه الموازنة .

وفي يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان تركنا حلب عن طريق طرابلس فكأن الله اراد لنا ان تنشرح صدورنا وان تغتبط نفوسنا بالربيع الزاهر والموسم الضاحك في الارجاء السورية واللبنانية ، وقد نعمنا حقاً بمظاهر الازدهار وبوادر الانتعاش ولكننا حينما تغلغلنا في صميم الحياة الزراعية لم نقنع بما نحن فيه من اطمئنان هو اقرب الى الخيال منه الى الحقيقة ، فالحياة الزراعية عندنا لا تزال مفتقرة الى تطبيق ابسط المبادىء الحديثة ، ليكون الازدهار حقيقياً . ان على حكومتي سوريا ولبنان ، اذا تعذرت عليهما الاستفادة الآلية التي يغدقها الحلفاء بسخاء على الشعوب التي تناضل في سبيل اعلاء كلمة الحق ان يفكروا في المستقبل الآتي وان يعدوا العدة لعالم الغد ، لان عالم الغد سيقسو بمطالبه ، بعد ان علمته الحرب القسوة ، وسيتخذ المطالبة بحقوقه وسائط وطرقاً غير التي نعهدها .

ان على حكومتي سوريا ولبنان ان تتعاونا على احداث دوائر للتعمير والانشاء بعد الحرب ، تختص بوضع التصاميم وتهيأة المشاريع ، وتدبير

الاموال حتى اذا وضعت الحرب اوزارها ، لم يقل الناس ما للحكومات وما بها بل يجدون مشاريع عمرانية وزراعية واقتصادية رهن التنفيذ .

وقد علمت من السيد شلوش رئيس بلدية تل افيف ان دوائره قد تنبهت الى هذا الامر وانه شكل على الفور دائرة اطلق عليها اسم دائرة التعمير ما بعد الحرب ، وان هذه الدائرة جادة بكل فروعها ، في تنظم اعمالها وتهيأة مشاريعها . ومثل تل افيف مصر ، فهي تولي شؤونها بعد الحرب اعظم الاهتمام وتبوأها اسمى مقام . لقد دنا وقت الصلح والسلام ، واصبحت نهاية الحرب على قاب قوسين او ادنى فماذا اعددنا لهذا اليوم العصيب ؟ أليس من الافضل لنا ولمن سيتولون في المستقبل تنظيم العالم ان نكون واياهم على تفاهم تام بدلا من ان نفاجأ بالاحداث والقرارات كما فوجئنا عقب الحرب الماضية ؟ .

تجميل بيروت

« ان بيروت رغم ما ذاقت من الحرمان والاستهتار ما زالت الدرة الغالية في تاج الشرق » هذه شهادة عالم حاذق مهندس اجنبي عهد اليه وضع خارطة لتنظيم وتجميل المدينة ، وما زال منذ سنتين يعمل في صمت واخلاص ، حتى جاء مشروعه نفحة من نفحات الفن الراقي .

قلت للسيد ايكوشار : ان مشروعك جميل حقاً ، وها ان فطاحل المهندسين والعالمين بشؤون تنظيم المدن وتجميلها على قلتهم يشهدون بذلك . فارسل ابتسامة لم يخف علي مدلولها واردفها بقوله : « جمال المشروع لايكفي ، ان على البلدية ومن ورائها الحكومة ان تحسنا تنفيذه لأن العبرة في التنفيذ » ولم يزد .

وقيل له انك تستحق على عملك اجمل مكافأة فأجاب : احسن مكافأة لي هي ان اتلقى يوماً ، حيثما كنت ، خبراً عن احداث دائرة للتنفيذ تضطلع بوضع مشروعي موضع التطبيق وستكون بيروت اذ ذاك جديرة حقاً باللقب الذي تحمله وبالمكانة التي يرجوها لها اللبنانيون . »

لقد سبق السيد ايكوشار ، السيد دانجه فوضع خارتة تجميلية للمدنية ، ولكنها كانت خارتة ارتجالية ، روعيت فيها المصالح التي تتعارض مع المصلحة الوطنية العليا ، والهدف الاسمى ، ونال واضعها من اجلها اجراً عظيماً . أما خارتة او خرائت السيد ايكوشار فقد احسن تنظيمها ولم تراع فيها اية مصلحة خاصة تنافي المصلحة العامة ، ولم يقبض واضعها من بلدية بيروت اي أجر ، فهو منتدب من المفوضية العليا لهذا العمل وهي التي تولت دفع اجوره التي لم تتعد رواتبه .

وقد ارفق السيد ايكوشار مشروعه بتقرير مفصل ، ووضع الى جانب ذلك كتاباً عن تاريخ مدينة بيروت ، استند فيه الى تحقيقات فنية وعلمية خالصة ، وهو يخالف فيما يذهب اليه عن بيروت ، القديمة وموقعها جميع الذين سبقوه من المؤرخين . وفي الكتاب كما علمت حقائق استنبطها مما عثر عليه من خرائت ورسوم ، ومما لاحظه من تخطيط المدينة القديمة .

وقد سبق للسيد ايكوشار ان وضع مشروعاً لتنظيم دمشق ومشروعاً لتنظيم حلب ، وباشرت الحكومة السورية بتنفيذها وقد صرح دولة رئيس وزراء سوريا اليوم ، السيد سعد الله الجابري في مجلس عامر باهل الفضل والمعرفة ، وكان ذلك في صيف سنة ١٩٤٣ ، وكان السيد ايكوشار قد انتقل الى بيروت لمباشرة اعماله ، بان هذا المهندس هو رسول الفن الحديث الى سوريا ولبنان ، وان على لبنان ان يقدر عمل الرجل حق قدره ، لانه لا

يصدر في عمله الا عن رغبة صادقة في التوفيق بين احدث النظريات التجميلية وبين حاجات المدن التي يعمل من اجلها . وزاد السيد سعد الله على ذلك بقوله مخاطباً اللبنانيين الحاضرين : ان هذا الفنان الذي يعمل اليوم عندكم لمصلحتكم ، لا تتخلوا عنه ، بل ابقوه عندكم ليشرف على تنفيذ مشروعه ، ونحن لم نأل جهداً في اقناعه بالبقاء ، ولكن وظيفته استدعته الى لبنان »

ان السيد ايكوشار يشد الرحال لمغادرة لبنان بعد ان قدم له اثمن ما يمكن ان يقدم انسان لبلاد.

ان المجال لا يتسع لشرح المشروع الذي اعده ايكوشار ، ولكن ما ظهر بالمقارنة بين ما كانت عليه بيروت في سنة ١٨٦٠ وبين ما هي عليه اليوم ، من جهة الاتساع العمراني ، يجعل من الواجب على الحكومة والبلدية ان تشرعا منذ اليوم باتخاذ الاحتياطات لدرء كل تعد على الانظمة والقوانين المرعية في البناء كي لا يستحيل الاصلاح في المستقبل وتعود بيروت القهقرى اكثر مما عادت حتى اليوم .

ومن الجدول الآتي يتضح لنا كيف ان بيروت اتسعت بعد الحرب الماضية اتساعاً مطرداً ، فقد كانت مساحة بيروت :

سنة	هكتاراً
١٨٦١	١١٢
١٩١٢	٣٣٠
١٩٢٢	٥٥٠
١٩٣٥	١٢٠٠
١٩٣٩	١٦٤٠

والهكتار كما هو معروف يساوي عشرة آلاف متر مربع . ولما كانت

حدود بيروت الحالية لم تعد تساعد على الاتساع المنظم ، بالقدر الذي يتفق مع سنة النمو العمراني فقد اصبح من الواجب ان تمدد حدود بيروت او ان تعقد اتفاقات مع البلديات المجاورة تساعد على اتساق سير التوسع الطبيعي .

وثمة أمر من الاهمية بمكان ، لابد من تحقيقه لتمكين البلديات اللبنانية من القيام بالواجبات المفروضة . فقد اعتادت الحكومة تحميل موازنات البلديات اعباء مالية تضعف من مقدرتها على معالجة شؤونها الخاصة ، والعهد بالحكومات أن تمديد المساعدة الى البلديات ، لقاء ماتقوم به هذه من خدمات تعود منفعتها الى المصالح الحكومية .

ثم ان العهود الماضية حولت كثيراً من الواردات البلدية المحضة الى خزانة الدولة ، فاصبحت البلديات بذلك عاجزة عن الاستمرار في تعهد المشاريع الحيوية التي تفتقر اليها المدن وتتعالى الشكوى من اهمالها . وكذلك فان بلديات العالم كافة تتولى هي استثمار المرافق والمشاريع التي تدخل ضمن نطاقها ولكن هذه المشاريع والمرافق ما زالت حتى اليوم في لبنان ، في ايد مقبوضة لا يرشح منها درهم واحد .

وهل يدري الناس ان بلدية بيروت لا تنتفع بمثقال ذرة من شركات الماء والنور والترام الكهربائي والسباق وسكة الحديد والمرفأ ؟ وعندي ان مستقبل بيروت العمراني قد اصبح في يد الحكومة والشعب ، فعلى الحكومة ان لا تبخل بالمساعدة على البلدية وان تيسر لها سبيل الازدهار المادي ، وعلى الشعب ان يقبل طائعاً على احترام الانظمة والقوانين التي لا تستهدف الا مصلحته ونفعه .

الكتاب الرابع

من

المجاني

●

لقد رفع سعر هذا الكتاب عن السعر المعتاد لكتب سلسلة المجاني فجعل ليرتان لبنانيتان ونصف الليرة بدلا من مئة وخمس وسبعين غرشاً وذلك نسبة لكونه مصوراً. اما المشتركون فلا تسري عليهم هذه الزيادة في السعر.

●

اشتركوا

في سلسلة المجاني

الشهرية

الاشتراك لسنة ٢٠ ليرة لبنانية

لستة اشهر ١١ ليرة لبنانية

سلسلة جديدة

تصدر عن

دار النهضة

●

انتظروا صدور

– السلسلة الفنية –

ألوان جديدة من الفن

●

يصدر فيها قريباً

كتاب

ابعاد

بادرة مدرسة جديدة في الفن الادبي

ايها المؤلفون

اعتمدوا

دار النهضة

في طبع ثمرات اقلامكم ونشرها

فهي الجهاز الاكمل المؤهل لايصال هذه الثمرات

الى اوسع مدى من القراء !

وهي بيت الاديب الدافيء ومستقره الامين !

◆◆

دار النهضة

الممر المباشر بين الاديب والقاري. !

ابن زيكار

رواية فريدة في نوعها !

تمتزج فيها الحقائق التاريخية باغرب الحوادث وأعنف الازمات النفسية ، وتكشف النقاب عن ناحية مطموسة من عظمة صور «ملكة البحار» واامجاد الصوريين ، اسياد الحضارة والعمران في العالم القديم !

فيها بطولة وحب وتضحية ووطنية ومثالية ودرس مستوف لعادات الفينيقيين في صور وقرطاضة ؛ وتقاليدهم الدينية واتساع مدنيتهم المشعة والأسس التي قامت عليها دولهم الجبارة .

مستقاة من اصدق المصادر القديمة والحديثة ، والمستندات الاثرية الجديدة التي تكشف عن وجه التاريخ القديم .

تتناول فصولها باسهاب الفتح المقدوني ، وحصار صور حيث ادهش الصوريون العالم بما ابدوه من وطنية لا تلين ، ومن ضروب الجرأة والشجاعة والاقدام والثبات العجيب في وجه الطفرة المقدونية التي اهتز لها العالم .

من يقرأ «ابن زيكار» يجد اللذة والفائدة تماشيان الفن الروائي الجذاب والتحليل البصير في اقدم الحوادث واكثرها غموضاً .

اقرأ ابن زيكار !

تر الستار يرتفع عن اجيال من عمر هذه البلاد حافلة بالمفاخر والعز والمدنية الباذخة العمران !

ابن زيكار

الكتاب الخامس من سلسلة — المجاني

8774

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، لبنان – تلفون ٦٢-٦٨

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville Pa
JULY-AUG 1992

Princeton University Library
32101 059530731